السنة السابعة العدد ٨ ١٥ نيسان سنة ١٩٠٤

المشرق

الخَيل العِرَاب عند العَرَب والأَعراب

محاضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي

تمهيد

ذكر المشرق في بعض اعداده الاخيرة ان احد كُتّاب الافرنج المحدثين انكر على العرب وجود خيل عراب عندهم قبل الاسلام ولا ادري كيف جاز لهذا الاديب ان ينطق بمثل هذا القول ولا ارى على اي سند امكنهُ ان يستند ليزعم هذا الزعم الفارغ ونحن نشاهد العكس اي ان الادلة كلها متضافرة في كون كرائم الخيل العِرَاب قديمة الوجود عند العرب والأعراب كما يتضح ذلك من الادلة الآتية:

١ . الخيلُ العِراب في القديم

١ً الادلة الطبيعية على وجودها في بلاد العرب

في جزيرة العرب سهول واسعة الاكناف عريضة الأكتاف بل بلاد منبسطة الاجواف تدعو الانسان الى الحصول على حيوان يطوي هذه البيد ويقرّب منها البعيد وينهب الارض نهباً ويُلهبُها بحافرهِ فتَلهبُ لهباً وليس من دابّة تحقّق هذه الامنية الّا الخيل العربيّة فضلاً عن ان مثل تلك الارضين تحسّن حالة هذا الصديق لجفاف الهواء وقلّة وجود الاطعمة التي تتلف صحتهُ او تزيد فيه الادواء او غير ذلك من مسببات الاضرار العظام . ومتلفات الابدان والاجسام

٢ً الحجج اللغويّة

ان العرب لحرصهم على نسل الجياد العراب قد سمّوها باسماء خصوصية دفعاً للشبه واللبس وحفظاً لانسابها وكانوا اذا ارادوا بيعها وهو نادر او اهداءها وهو اكثر ذكروا نسبها كما يذكرون انساب الرجال . وفي دواوين اللغة اسماء كثير من هذه الكرائم. وزد على ذلك انهم قد تواطؤوا على الفاظ لغوية خصّوها بالخيل العراب دون غيرها. وهذه الالفاظ ليست محدثة الوضع بل قديمة موجودة قبل الاسلام كتفريقهم بين الجواد العربي والعتيق والعُجرج والأيدم والطرف والمعرب والأنثى والمقرف والهجين والكُرْدَن والبرذَوْن الى غير هذه الاسماء. ولا يتصوّر عاقل ان هذه الكلم قد وضعت لجياد خياليّة او خرافية بدون مسمّيات حقيقيّة . هذا فضلاً عن اسماء الخيل في السباق وهو امرٌ لا ينكرهُ عاقل والسباق كان قد عمَّ اغلب القبائل وذكرهُ مستفاض عندهم وبه يتفاخرون وانت تعلم انهم قد وضعوا اسماء لعشرة منهم ممن تسبق غيرها وهي السابق او الحَجَلي والمسلّي والتالي والمرتاح والعاطف والمؤمّل والحظيّ واللطيم والسكيت واما الاخير فدعوهُ الفُسكل . وكان من عادتهم انهم لا يدّعون دخول الحلبة الّا الجياد العتاق — واما غير هذه الحجج اللغويّة فكثيرة الّا اننا نجتزئ بالقليل دفعاً للسآمة

٣ً البراهين التاريخية

ان هذه البراهين اشهر من ان تذكر فمن ذلك اسماء خيل كثيرة عتيقة اخذها اللغويون من المؤرّخين والرواة والاخباريين وقد ذكر بعضاً منها السيوطي في الكتز المدفون (ص ٧٩) فاذا عددها يزيد على المائة والسبعين فرساً وقد اشتهرت كلها في الجاهليّة وصدر الاسلام . ولا يمكن ان يكون ذلك حديث خرافة او تلفيق باطل

ومنها ان اغلب حروب العرب التي طار ذكرها في الآفاق انما نشأت بسبب السباق او الرهان والمفاخرة بالجياد العتاق او حدثت من نهب فرس عزيز عند اصحابه او غير ذلك ممّا هو معروف . فهذه داحس والغبراء من اشهر حروبهم بل من اشهر حروب الدنيا لأنها دامت اربعين سنة بين ذبيان وعبس فلم يَطِرْ شَرَرُها ولم يَنْتَشِر شرُّها الّا من السبب المذكور

ومنها ان الجياد المذكورة في صدر الاسلام معروفة النسب وقد ارصد لها المؤرخون والنسّابون صفحات جليلة عريضة طويلة تزيد ما نحن بصدده وهم يُرقّون نسبها الى عدة آباء الواحد بعد الآخر مع ذكر اصحابها مما يُقضى منهُ العجب

ومنها أنهم لما كانوا قد حصلوا دائماً على جيادٍ عتاق في كل عصرٍ ولم يقفوا على حدّ قريب العهد منهم يحدّدون بهِ منشأ اوّل جوادٍ عربي كريم اصيل عندهم زعموا ان اصل خيلهم من خيل سليمان. قال التاج في « زاد الركب » في مادة زود: « فرس معروف من الخيل التي وصفها الله عزّ وجلّ بالصافنات الجياد. سُمّي بهِ لانهُ كان يلحق الصيد فكان الوفد اذا نزلوا ركبهُ احدهم فصاد لهم ما يكفيهم. اعطاهُ سليمان صلوات الله وسلامهُ على نبيّنا وعليهِ للأزْد القبيلة المشهورة لما وفدوا عليهِ فتناسل عندهم وأنجب. قالهُ ابو الندي: قيل ومنهُ اصل كل فرسٍ عربيّ ». اه

ومنها انهُ اشتهر عند عرب الجاهليّة فرسان يشار اليهم بالبنان في كل اينٍ وآن. منهم زيد الخيل وزيد الفوارس وملاعب الاسنّة ودريد بن الصمّة وعمرو بن معدي كرب وعامر بن الطفيل والشنفرى الحارثي والحارث بن عباد الربعي وعنترة بن شدّاد العبسي وربيعة بن مكدم وسعد بن مالك وغيرهم مما يطول عدّهم. وهم لم يشتهروا بفروسيتهم الّا لحسن جيادهم ونهبها بهم الارض الى غير ذلك من الاوصاف الراجعة الى حسن اوصاف الجواد العتيق ما عدا اوصاف الفارس نفسه

٤ الشواهد النقلية

كلّ من مارس شيئاً ولازمهُ كان ادرى بشؤونهِ واعرف باحوالهِ ممّن سواهُ. هؤلاء العرب لما كانوا على ممرّ الأيام في كرّ وفرّ وإقدام وإحجام. جموعهم مشتبكة واقرانهم متطاعنة. وفرسانهم متضاربة ورماحهم متشاجرة. وخيولهم متصاهلة. كانت الخيل من اعظم عُدَدهم. واتفذ آلات ظفرهم بقصدهم. بل كانت حصونهم الشيّدة. وكنوزهم المخلّدة. وعزّهم الرفيع. وحرزهم المنيع. فلذلك وقفوا من احوالها واوصافها المحمودة والمذمومة ما لم يقف عليهِ غيرهم. وعلموا من عللها وادوائها ما لم يعلمهُ سواهم. حتى بلغ في ذلك صيتهم ووليدهم ما لم يبلغهُ شيوخ قوم آخرين. والشواهد على ذلك كثيرة لستوعبتها كُتبهم المؤلفة في الخيل

ولنورد من ذلك شاهدًا مشتملًا على بيان ما نحن بصدده:

« روى ابو بكر ابن دُرَيد قال: حدثني عمي عن ابيه عن الكلبي عن ابيه قال: اجتمع خمس جوارٍ من العرب فقلنَ هَلُمَّنَّ نَنعت خيل آبائنا. فقالت الاولى: . . . » (وهنا ذكر حضرة العلامة محمود شكري افندي الآلوسي الذي نقلنا عنهُ هذه الفقرة باسرها قول كل واحدةٍ من هذه الجواري العربيات وقد وصفت وصفًا عجيبًا الخيل العراب وهو كلام لا يمكن ان تختلقهُ جوارٍ إلَّم يشاهدنَ بعيونهنَّ ما ينطق به لسانهنَّ ولولا طول المقال وضيق المقام لاوردنا تلك الاقوال الغُرَر بل الدُرَر فاطلبها في الجزء الثاني من كتاب باوغ الارب في احوال العرب ص ٩٢ وما يليها ففيها مجزأةً)

هذا ما يتعلَّق بالعرب واما ما يخص الأعراب فانك تعلم احسن العلم انهم كانوا منذ الزمن القديم. بل قبل سليمان الحكيم. الذي كان معروفًا عند العرب لكونهِ على زعمهم اعطاهم اول جواد كريم. اصحابَ نهب وسلب. واهل طعن وضرب. وهو امر لا ريب فيهِ يتحقَّقهُ كل من يتصفَّح الكتاب الكريم المبين. او يطالع كتب العرب من شعراء ومؤرخين. وهل يمكن ان يتمَّ مثل هذا الامر الذي يُطرَح بصاحبهِ فيُركبهُ اخطارًا جمَّة. بدون ان يكون راكبًا جوادًا ينقذهُ من تلك التهالك المدلهمَّة. لا لعمري بل ان هذه الحقيقة العقليَّة. وان كان لا ينكرها ذوو الاحلام الصائبة. فان الأخبار تثبتها بالروايات التاريخية والأسانيد التي لا يشوبها شائبة

٥ البيوتات التدبيرية

كان للعرب وللأعراب عنايةٌ بخيلهم الكريمة حتى كانوا يفضلونها على اهل البيت بل على نفوسهم وما ذلك الَّا لانهم رأوا من جيادهم العجب العُجاب. وما رأوا فيها من علامات الكرامة والنجابة ما يأخذ بالالباب. وهل يُمكن ان يؤدوا مثل هذه العناية الفريدة الغريبة. لخيلٍ لا تعوَّض لهم ما يبذلونهُ لها من النفقات العجيبة. فقد رُوي عن احد فرسان العرب ايام الجاهليَّة. وهو عبيدة بن ربيعة التميمي المشهور بالفروسية. ان احد الملوك طلب منهُ فرسهُ المعروفة باسم سَكاب. فمنعها عنهُ وقال هذه الابيات العجاب:

ابيتَ اللعن انَّ سَكاب عِلقٌ نفيس لا يُعار ولا يباعُ
مُقذَّفةٌ مكرَّمة عَلَيْنا يُجاعُ لها العيالُ ولا تُجاعُ

مليلة سابقين تتابعا اذا نسبا يضمهما الكراعُ
فنيها عزةٌ من غير نفر يعيدها اذا حرَّ القراعُ
فلا تطمع ابيت اللعن فيها ومنعكها بشيء يستطاعُ
وكفي نستقلُ بحمل سيفي وفي سمحٍ تضمنني امتناعُ
وحولي من بني قحطان شيبٌ وشبان الى الهيجا سراعُ
اذا فزعوا فأمرهمُ جميع وان لاقوا فايديهم شُعاعُ

الى غير ذلك من الشعر الذي لا يسعهُ المقام مما يدلُّ على عزّة الخيل لديهم وانها مقدمة على انفسهم ولعزّتها قدروها بالأمهات والآباء. وقدّموها على عيالهم في الباساء والضرّاء. وآثروها على اعزّتهم في الطعام والماء. (عن الآلوسي ص ٩٠ و ٩١)

فان كان بعد هذه الآيات الصادعة بالحقّ الواضح ينكر الكاتب كل هذه الامور فما بقي عليهِ وعلينا الّا ننكر الشمس في رابعة النهار. ونحسب من عداد عُمي الابصار والافكار. وقانا الله واياهُ وهو فوق كل ذي علم عليم

ب الخيل العراب في الوقت الحالي

من وقف على ما كتبناهُ الى هنا يودّ ان يعرف اذا كان للعرب او للأعراب الحاليين شيء من تلك الخيل الكريمة وما هي واين توجد فاجابةً عن هذه الاسئلة اقول: ان الخيل الكريمة لا زالت موجودة عند العرب الى يومنا هذا وعنايتهم بها كعناية اجدادهم لا تختلف عنها ابدًا ولو بذرّةٍ (١ وهي على سبعة اقسام اصليّة وهي

---

١) بينما كنتُ في خراسان في السنة المنصرمة جاء شابٌّ حسن الطلعة من ابناء الشيوخ راكبًا جوادًا عربيًّا كريمًا وكان قد طلب منهُ احد اصدقائهِ من قبيلة اخرى ليعيرهُ اياهُ فيرسلهُ على حجرٍ لهُ وقد اهدى لهُ هدية لقاء هذه الاعارة ما يساوي اربعمائة فرنك فلم يشأ صاحب الجواد. فاخذ الثاني يترصّد لهُ لينتقم منهُ فيقتلهُ غيلةً. فلمّا اراد يومًا صاحب الفرس الكريم وكان اسمهُ محمدًا ان يذهب الى واحدٍ من اقاربهِ وكان بعيدًا عنهُ نحوًا من سبعة فراسخ واذا بعدوّهِ وكان اسمهُ حسنًا قد ثأرهُ عن بعيدٍ حتى اذا صار الاوّل في قلب البادية واذا بحسن يتبع الارض بجواده كانهُ البرق الخاطف ولمّا اوشك ان يكون من صاحبهِ على قاب قوسين احسَّ هذا بالخطر فقال لجواده: « خلصني يا حمام » (وحمام هو اسم فرسهِ) وفي اثناء هذه الكلمات ضربهُ برجلهِ فاذا بالحمام يطير كأن قد نبت لهُ جناحان واما حسن فوقف كالمبهوت المتحيّر او كانهُ قد صُعق بمكانهِ وخاف ان يعود الى عشيرتهِ لانكشاف امرهِ وافتضاح سرّهِ فلم يُعرف ما جرى بهِ. واما محمّد فبعد ان قصَّ كل هذه القصة بتفاصيل عجيبة غريبة وقد اختصرناها هربًا من الاطالة قدم لهُ ما يروي عطشهُ وكان النهار حارًّا يتّقد نارًا امّا هو فلم يَشرب بل اشربهُ جوادهُ ولم يكن في

الأصول النجدية الآتية :

١ً صقلاوي جدران (والقاف في اللفظة الاولى كما في سائر الألفاظ الآتية كالجيم المصرية او الكاف الفارسية)

٢ً حمداني سرري

٣ً معنق حذرج (والبعض يقول حذري على لغة من يقلب الجيم ياء اينما وقعت)

٤ً كحيلة العجوز (واللفظة الكلمة الاولى باسكان اولها كما هي لغة الاعراب الشائعة في العراق في الاسماء المصغرة)

٥ً شويهة سباح

٦ً عبية شراق (باسكان اول الكلمة الاولى واسكان اول الكلمة الثانية مع لفظ القاف كافاً)

٧ً هدبة نوحي (بفتح اول الكلمة الثانية واسكان ثانيها والمشهور على الالسنة اسكان النون وفتح الزاي)

والأعراب تروي في سبب تسمية هذه الاصول بهذه الاسماء الرواية المأثورة الآتية : يُحكى عن سليمان الحكيم صلعم انهُ اخرج من البحر بسحر كلامهِ ستَّ حُجُور وجوادًا واحدًا ولمَّا تثبَّت الملك المذكور ان كل شيء باطل اطلق السراح لعبيدهِ كما ولجياده السبعة الموماً اليها وقال لهذه: « ارجعي ان شئتِ الى من حيثُ اتيتِ » اي الى البحر الرومي . فاخذت الجياد بالعَدْو وقد اضلَّت الطريق حتى جاءت صحراء بلاد العرب وجازَت مضارب بني قحطان فلمَّا رآها هؤلاء صمَّموا على القبض عليها الَّا انَّهم لمَّا تحقَّقوا بُعد هذا الامر بل استحالتهُ اتَّفقوا فيما بينهم ان يحفروا حوضًا عظيمًا يملأونهُ خمرًا لذيذة حتى اذا عطشت هذه الجياد جاءت هذا المورد الوحيد فارتوت فسقطت

تلك الحيمة غير هذا الماء والمورد كان بعيدًا عن الأعراب ثم قُدِّم لهُ خبز فاطعمهُ جواده ايضاً وفي ما كان يأكل كان صاحبهُ يقبِّلهُ مرَّات عديدة ويأكل بعض الكِسَر اليابسة التي بيدهِ ولمَّا كان فمهُ ناشفًا لقلة الرضاب غصَّ بكسرة من هذا الخبز فمات . واما اصحاب الحيمة فبكوا بكاءً عظيماً ثم كتب احدهم هذه الحكاية واناطها برقبة الجواد ثم ضُرب الجواد قليلًا فتفهم معنى ذلك ورجع الى اهل البيت لا فارس عليهِ ففهموا انَّ محمَّدًا قد قُتل غير انَّهم لمَّا فضُّوا الرقعة أدركوا السبب وندبوهُ اياماً طوالًا

لكرها . فلمَّا تمَّ بالعمل ما اتفقوا عليهِ قبضوا على ازمتها على الصورة الاتية :

فاوَّل شيخ رآها قد سكرت قبض على الجواد الكريم فما مدَّ يدهُ عليهِ الَّا و « صقَلَهُ » برجلهِ اي ضربهُ بها فدُعي اسمهُ « صَقْلَاوي » ولمَّا كان اسم هذا الشيخ « جَدْرَان » قالوا « صَقْلَاوي جَدْرَان » وسمَّوا الاناث بعد ذلك « صقلاوَّية جدران »

امَّا الشيخ الثاني وكان اسمهُ « سُمَري » فلمَّا رأى ما فعل صاحبهُ ولم يؤانس الجواد او يستميلهُ اليهِ بشيء من الجواذب ألقى على الحجر سرجًا فاخرًا أسمر اللون فكانهُ سخرَها بذلك فوقفت فسُميت « حمدانيَّة السُمري » وسُمي الفحل منها « حمداني سُمري » او « حَمْدَاني السُمري »

فلمَّا نظر الشيخ الثالث الى حسن نتيجة عمل الثاني زاد في اللطف نحو الحجر التي وقع نظر اختيارهِ عليها فعانقها احسن المعانقة ومنذ ذلك الحين عُرفت « بمُعَنَّقيَّة حدرج » والفحل « بمعَنَّق حدرج » وفي الحالتين يُقال حَدْري ايضًا

وما رأى الرابع هذا اللطف من قبل الشيخ الَّا وامرأة عجوزًا مشهورة بدهائها وتُكرها وقال لها عليكِ بهذه الحجر فاكحليها وانا اعطيكِ كذا من المال . فلمَّا فعلت واجازها عُرفت « بكُحَيْلة العجوز » او « كحيلاء العجوز » الى يومنا هذا

امَّا الخامس فظنَّ في نفسهِ انهُ مهما يعمل بعد ما عمل الرابع لا يكون امرًا معدودًا بل رأى في غُرَّة جبينها شيئًا يُشبه الشامة فاقتادَها لهُ فعُرفت « بشُوَيْمة سبَّاح » وسبَّاح هو اسم الشيخ المذكور

فلم يَرَ السادس ان الشيخ الذي سبق تعريفهُ فعل شيئًا يُذكر فألقى على الحجر التي احبَّها عباءتهُ فسُميت باسم مُركَّب من العباءة والشيخ اي « عُبَيَّة شراق » والذكر « عُبَيَّان شراق »

فما بقي على الشيخ « ترحي » الَّا ان يُلقي خُرجهُ على الحجر الاخيرة ويتأثر اصحابهُ واسم الخرج عندهم « حدبة » فعُرفت باسم « حدبة ترحي » وكذا عُرف الفحل ايضًا

ولا يخفى ما في هذه الحكاية من التلفيق فانهُ ظاهر لكل ذي عينين وكلهُ عندي مبنيٌّ على تأويل الالفاظ ليس الَّا. كما يظهر ذلك من تدقيق النظر في قرات هذه الرواية وعرضها على التاريخ ولا حاجة الى نقدها (١)

---

١) والاصح ان الصقلاوي مشتق من صقال الفرس : وهي صَنْعَتُهُ وصيانتهُ . . . ويقال

الّا ان هذه الاصول قديمة عند الأعراب في العراق ونجد وهي المعروفة بالاصيلة العتيقة العراب. قال لي بعض ادباء المسلمين: « ان احسن الخيل هي جياد عنزة لأنها تنتمي الى خيل الصحابة الكرام ويقال ان « صقلاوي جدران » من نسل ميمون وهو فرس عليّ بن ابي طالب رضي الله عنهُ. ويحكى ان في قبيلة عنزة خيلًا تنتمي الى خيل النبيّ صلعم الّا انهم لا يظهرونها لغير اهل قبيلتهم ضنًّا منهم بها. واما خيل شمّر والمُنيد فهي من نتاج جياد عنزة المذكورة »

ومن نسل عمولاء الجياد السبعة المذكورة تولّدت سائر الخيل الكريمة الموجودة عند عرب وأعراب ايامنا هذه واذا باع الواحد فرسًا من خيله يُسلّم المشاري حُجّة يذكر فيها نسب الجواد المبيع وقد وقّع عليها شيخ القبيلة ناطقًا بصحة النسب. وكل قبيلة عظيمة قد اختصّت لنفسها جوادًا من الجياد العتاق حتى انهُ اذا وقع غزوٌ بين قبيلة وقبيلة ثانية

قصتلهُ اي نصنعهُ بالجلال واللفّ. والقيام عليهِ وهو صقال الخيل. ولهذا فالصقلاوي احسن خيل العَرَب لما يبذلون لهُ من حُسن العناية بهِ

والحَمْداني لم يذكرهُ التاج واظنهُ منسوبًا الى آل حمدان من ربيعة الفرس

والمُعْنَق ويجمعونهُ على المعانق وهي على ما قال في التاج: « خيول منسوبة للعرب يقولون في الواحد مِعْنَقيّ » اه. قلت: والذي يقولهُ الاعراب في يومنا هذا « المشق كمُعَظَّم ويجمعونهُ على المعانق او المُعَنَّقِيّة

والكُحَيلة — وقد جاء في التاج: والكُحَيل كزُبَير: اسم علم للنجيب من الافراس ويُقال ايضًا كُحَيلان اه. قلتُ: والمشهور هو ان « الكُحَيل » و « الكُحَيلان » للذكر. والكُحَيلاء للانثى

وشُوَيْحة — وفي التاج: « قال ابن شميل: الشامة: شامة تخالف لون الفرس على مكان يكرهُ وربما كانت في دوائرها » اه. قلتُ: ولا يبعد من ان يكون السبب الاوّل في التسمية هو وجود مثل هذه الشامة في الاوّل الذي سمّي بهذا الاسم

وعُبَيْبة كسُمَيّة: فرسٌ لهم نجيب وكانها من ولد العبابة » (عن التاج بحرفهِ) و « والعبابة فرس حرثيّ بن ضمرة النهشليّ » (القاموس)

الهَدْبة. قد رأيتُ ما يُسمّيهِ الاعراب بالهدبة فرأيتهُ يجاز خصوصًا بطول الناصية لا غير. ومنهُ عند قدماء العرب اسم « هَيْدَب » وهو فرس عبد عمرو بن راشد. قالوا: وسُمّيت كذلك لطول شعر ناصيتها. وقالوا ايضًا: « فرسٌ هَدِيبٌ » وهو الطويل شعر الناصية. واما المسمّى « هَدْبة » اليوم فكان اسمهُ سابقًا « هَدْبان » وهو اسمهُ الثاني عند بعض الاعراب في الحاضر وما « هَدْبة » الّا اختزال « هَدْبان » قال في التاج في مستدرك « هدب »: « والهَدْبانُ » من جياد الخيل عندهم وينقسم الى بيوت

وعُرف الفرس الاصيل يُعاد هذا الى اصحابه وهو المصطلح عليه عندهم « بالعَرَفة »

وقد عُني بعض الشيوخ بصقال بعض الجياد الكريمة وتربيتها وحسن مداراتها فأضيفت اليهم . من ذلك مثلًا جياد كحيلان المضافة الى عبد الكريم بن صفوق شيخ قبائل شَمَّر قسمّى « كحيلان شَمَّر » . ومنها جياد السعديّ شيخ قبائل عنزة فتُعرف « بكُحَيْلان السعديّ »

اما الفروع (١ المتولدة من الآباء او الأُمَّات المذكورة فهي :

ا . هَدْبة ترحي	١	هَدْبة ابن غافل السياه	
	٢	« العزيز	
	٣	« الشعويج	
	٤	« المعمض	
ب . حمداني السُمري	١	حمداني المَلْحة	
	٢	« القهد	
	٣	« سمري	
ج . شُوَيْحة سبّاح	لا فرع لها		
د . عُبَيْنة شراق او شراك	١	عُبَيْنة السُلّي	
	٢	« جُرَيس	
	٣	« الحسدة	
	٤	« ... (نسيت اسمهُ)	
ه . مُبْتَق مَدْرَج او حدري	١	مبتق هَرْقة	
	٢	« نصبة	
	٣	« الصُوَيْطة او الصُوَيْتة	
	٤	« أرنب	
و . صقلاوي	١	صقلاوي وُبَيْرة	
	٢	« وُجَيْبة	
	٣	« مَرْعانية	
	٤	« عَبْدة	

ز . كُحَيْلان او كُحَيْلة العجوز

١	كُحَيلان المَتْلة	
٢	« النَوّاق	
٣	« كُرُوش	
٤	« ثامر	
٥	« راس الغَدّاوي	
٦	« ام صِنّة	
٧	« الوديح	
٨	« الطويبي	
٩	« ام عَرْقوب	
١٠	« التنيبي	
١١	« ريش الجَرْبوعية	
١٢	« الحَلّاوية	
١٣	« ودنة خُرَيْسان	
١٤	« نجدي	
١٥	« سَعْدي	
١٦	« الجُحَيْشي	
١٧	« السابل	
١٨	« الأعوج	
١٩	« ذو (ذي) العَقْل	

١) قد سمّى صاحب التاج النتاج المتولّد من الجياد الاصيلة « بالبُيُوت » كما يؤخذ من كلامه عن « هَدْبان » الّا اننّا عدلنا عن هذه التسمية الى ما هو اشهر على السماع

والذائع بين قبائل الأعراب ان جياد كحيلان كلها من نسل « زاد الركب » الذي ذكرناه . الّا ان العارفين في هذا العلم يقولون ان هذه الجياد متولدة من نتاج الصقلاوي والعُبيَّان الاول اي عُبيَّان شراق . وفريق يذهب الى ان الكحيلان سُمّي بهذا الاسم لانّ ارملة من بني تغلب القبيلة النصرانية الشهيرة كحلت عين حجر عُبيَّة فسُميت ابنتها كُحيلة او كحيلاء العجوز . ومهما يكن من الامر فاننا لا نرجح رأيًا على رأي ولماً جميع هذه التآويل من المختلقات . الّا انهُ يبقى من الثابت المقرَّر ان جياد كحيلان اصيلة كلها

واما سائر الخيل الكريمة فهي دهمة العامر ودهمة المدجّل . ويتلوها نجابةً مليحةً راشد ثم كُبَيْشة عماز وكُبَيْشة الشريف ثم الجافة فطُوَيْسة فقرْع فريشة وجرادة وبرّاقة فشنينة فدُهَيْمة فدماغ فابوجنوب ومنجولة والموسجيات فالمليحيات فالصغيريات وقريطة والحجيلة . واما حُصَينيَّة وخُبَيْعيَّة فيما من خيل المتفق ومن خيل الاصيلة نَصْب عَرار وهي كريمة جدًا ظاهر حسن بارع والدعجانيَّة بهية المنظر ثم يأتي بعدها المصنَّة والشتاغة والشرّادات والبرّاق وسعدة طوقان وسعدة و . . . (لا اتذكر اسمها)

ومن غير هذه الخيل جياد عراب عراقيَّة يقال لها الشمالية توجد عند الخزاعل والدُليم وزُبيد وهي من نتاج المتقدم ذكرها الّا انها لمّا لم تكن نجديَّة الاصل فهي دون هذه اعتبارًا وقدرًا ولاسيّما لان بعضها قد تولّدت من خيل غير اصيلة فقدت كرامتها ونجابتها

تركة السيد جرمانوس فرحات

لحضرة الكاتب الفاضل الفس جرجس منش الناروني الحلبي

هذه خاتمةٌ ألحقتها بمقالتي السابقة عن ترجمة الطيّب الذكر السيد جرمانوس فرحات وآتي فيها على مجموع آثاره العلمية فاسرد جدول مؤلفاته ومصححاته فردًا فردًا مستندًا الى ما ورد في الفهرست وفي جامع الروايات القديمي العهد (١ والى ما وصلت اليد بعد

(١ مما يؤسف له ان هذين الاثرين غير كاملين في آخرهما

البحث الطويل والمطالعة المدّة والمشاهدة العيانية الى غير ذلك من التدقيق البليغ الذي لا يُبقي مجالًا للشك او الريب

وقد قسمتُ هذه التركة العلمية الجليلة الى الابواب التابعة وألحقتها ببعض الحواشي حبًا بزيادة الايضاح والتحقيق

(تنبيهات) : الاول ان المقام لا يتحمّل اسهاب الكلام على كل كتاب بفرده فأُرجئ الاسهاب الى فرصة اخرى . الثاني ليعلم القارئ اني طالعتُ معظم هذه الآثار الادبية فكل كتاب لم اطالعهُ ذكرتهُ على عهدة ذاكره لأُخرج النفس من تبعته . الثالث ان الكتب اللقنية التي ذكرتها في هذا الدول اعتمدت في ايرادها على النسخ التي رأيتها في حلب وغالبها مذيّل بقلم المؤلف رحمهُ الله تعالى

اولًا: جدول مؤلفات السيد جرمانوس فرحات

١ الديوان (١ = ٢ كتاب الابديّة = ٣ مجموع مواعظه (٢ = ٤ حدائق الادب (٣ = ٥ المثلثات الدرّية (٤ = ٦ ديوان البدع = ٧ ميزان الجمع = ٨ كتاب الرياضة الروحية = ٩ مختصر سلّم الفضائل (٥ = ١٠ كتاب المحاورة الرهبانية (٦ = ١١ مجموع قوانين الرهبانية = ١٢ تاريخ الرهبانية المارونية (٧ = ١٣ التذكرة في القوانين = ١٤ رسالة الفوائد في العروض = ١٥ بحث المطالب

---

١) طُبع هذا الديوان ثلاث مرات الاولى سنة ١٨٥٠ ثم سنة ١٨٦٦ و١٨٩٤ بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت . وشرحهُ الخوري ارسانيوس الخاتوري والشيخ سعيد الشرتوني . واظنني النفس سيبريدون العرموني انهُ اهدى الى الشيخ المذكور نسخة خطية عليها بعض التعاليق . هذا ولي كلام على هذه الطبعات اضرب عنهُ الآن الى غير هذا الموضع

٢) لم ارَ مَن ذكر هذا المجموع سوى صاحب الفهرست

٣) جاء اسم هذا الكتاب في الفهرست وفي مجموع اشعار نعمة المالي ولكني اصرّح بأني لم اتمكن من الوقوف عليهِ لاطّلع على فحواه فلعلهما يريدان كتاب بلوغ الارب في علم الادب الآتي ذكرهُ

٤) طُبعت عام ١٨٦٧ بمطبعة دير طاميش للرهبان اللبنانيين

٥) ظنّ البعض انهُ مختصر عن كتاب والصواب انهُ تأليف كما يظهر من المقدمة

٦) رأى الاديب يوسف صفير منهُ نسخة ناقصة . وسمّاهُ تعليم الراهب لانهُ على طريقة السوال والجواب . وعندي منهُ نسخة كاملة

٧) ليس هذا التاريخ التاريخ الذي ذكرهُ حضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري في المشرق

مطوّل في الصرف والنحو (١ = ١٦ بحث المطالب مختصر في الصرف والنحو (٢ = ١٧ باب الإعراب عن لغة الأعراب معجم لغوي (٣ = ١٨ الفصل المعقود في عوامل الاعراب (٤ = ١٩ مجموع حواشٍ على بحث المطالب (٥ = ٢٠ بلوغ الارب في علم الادب مطوّل في المعاني والبيان (٦ = ٢١ بلوغ الارب مطوّل في علم الجناس والبديع = ٢٢ السنكسار الشرقي في اخبار القديسين = ٢٣ السنكسار الغربي في مجلدين (٧ = ٢٤ التحفة السرية لافادة المعرّف والمعترف = ٢٥ كتاب الرد على صالح الكوثراني المتوالي = ٢٦ فصل الخطاب في صناعة الوعظ (٨ = ٢٧ سلسلة البابوات عصراً فعصراً = ٢٨ كلندار الكنيسة المارونية ملحق بكتاب

(٤: ٢٦١) والدليل الصريح على ذلك هو ان التاريخ المذكور في المشرق ينتهي سنة ١٧٦٢ والسيد فرحات قضى نحبهُ سنة ١٧٣٢ فتدبّر (*

١) هذا ما جاء في الفهرست وجامع الروايات وذيل نسخةٍ من المختصر (راجع المشرق ٣: ١٠٧٨) وامّا عدم سند ثابت للمكاتب الادبيّة لهذه الرواية فليس بعجيب لانها لا تعوي كتب المشرق كلها

٢) طُبع سنة ١٨٣٦ بالمطبعة الاميركية بمالطا وسنة ١٨٤٥ بالمطبعة الاميركية ببيروت وسنة ١٨٧٦ بمطبعة الحكومة بلبنان وسنة ١٨٦٥ و١٨٨٣ الخ في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين وعلق عليهِ بعض الملاحظات فارس الشدياق المشهور وتولى شرحهُ المعلم بطرس البستاني والشيخ سعيد الشرتوني والخوري الفاضل نعمة الله باخوس والمعلم عبد الله البستاني (راجع المشرق ٣: ١٠٨١). وهذا يدلُّك على متانة الكتاب المطبوعة

٣) طبعهُ الشيخ رشيد الدحداح سنة ١٨٤٩ بمطبعة باراس وسافورنين في مرسيليا

٤) طُبع في ذيل باب الاعراب

٥) راجع المشرق الاغر (٣: ٧٨-١)

٦) انظر المشرق (٤: ٥٧٤)

٧) لا اعرف من هذا السنكسار سوى نسخة في كنيسة حلب المارونية. (قلنا وقد وجدنا منهُ نسخةً في مكتبة كنيسة الكلدان في دياربكر. ل. ش)

٨) طُبع هذا الكتاب في مالطة سنة ١٨٤٣ وفي طامش سنة ١٨٦٧ وفي بيروت سنة ١٨٧٣ ثم سعى بنشرهِ الشيخ سعيد الشرتوني سنة ١٨٩٦ وألحق بهِ نبذةً من خطبهِ ونبذة اخرى تشتمل على محاورات استف كبعراي العلّامة فيلون المشهور (طالع المشرق ١: ١٠٩٩)

---

*) يمكن القول انهُ التاريخ عينهُ وانهُ زيد عليهِ بعض تفاصيل بعد وفاة المطران فرحات بيد الناسخ (المشرق)

الاناجيل = ٢٩ كلندار عام ملحق بالسنكسار الغربي = ٣٠ صلوة عيد القربان الأقدس بالسريانية (١ = ٣١ جدول كنية حلب الاورونيين = ٣٢ رسالة في تعليم الصلوة العقلية = ٣٣ طريقة تبريك الرماد يوم اثنين الصوم (٢ = ٣٤ رسوم الكمال عددها ٢٠ وهي قوانين تقتدي بها النساء المتعبدات = ٣٥ رسوم الكمال مطوّل الكتاب المذكور اغزر مادةً واجزل فائدةً = ٣٦ رسالة الفرائض والوصايا وهي مجموع ٦٦ فريضةً او وصيةً مفروضة على الاساقفة والكهنة والشمامسة والعوام = ٣٧ رسومات الكمال وهي مجموع ٢٠ رسماً للنساء المتضمنات الى اخرية دخول العذراء الى الهيكل

ثانياً : جدول مصحّحات السيد جرمانوس فرحات

٣٨ المجمع النيقاوي تعريب البطريرك اثناسيوس الدباس = ٣٩ المجمع الافسوسي تعريبهُ = ٤٠ المجمع الخلقيدوني تعريبهُ = ٤١ المجمع القسطنطيني الاوّل تعريبهُ = ٤٢ محاورة العالم والحكيم تعريبهُ = ٤٣ الدرُّ المنتخب ليوحنّا فم الذهب تعريبهُ (٣ = ٤٤ المجمع التريدنتي تعريب الخوري يطرس التولوي = ٤٥ كتاب التأملات الشهريّة تأليفهُ = ٤٦ كتاب التأملات الاسبوعية تأليفهُ = ٤٧ سيرة مار توما الكنيسي تعريبهُ = ٤٨ تأليف القديس توما المذكور تعريبهُ = ٤٩ كتاب المنطق الكبير في جزءين تأليفهُ = ٥٠ كتاب الفلسفة في جزءين تأليفهُ = ٥١ كتاب اللاهوت في خمسة مجلدات تأليفهُ (٤ = ٥٢ منارة الأقداس في مجلدين للبطريرك اسطفان الدويهي (٥ = ٥٣ كتاب ردّ الحجج في ثلاثة اجزاء لهُ ايضاً = ٥٤

---

١) هي صلوة القربان للقس العلّامة عبد المسيح ليان الحلبي

٢) ترجم بعضها عن الرتبة الرومانية اللاتينية واخذ البعض الآخر عن رتبة قديمة حصل طيها في دير قنوبين

٣) هذا ما رأيتهُ من الكتب التي صحّحها ابن فرحات من معرّبات البطريرك اثناسيوس

٤) هذا ما وقفت عليهِ ممّا صحّحهُ ابن فرحات من تآليف استاذهِ التولوي

٥) طبعها المعلم رشيد الشرتوني كما برزت من قلم مؤلفها في سنة ١٨٩٥ بالمطبعة الكاثوليكية. امّا مقدمتها فليست للمؤلف كما استدلّ المعلم المذكور بل اخذها الناسخ من النسخة المصححة كما يظهر بالمقابلة بين عبارتها وبين عبارة الكتاب

تاريخ الطائفة الاورنيسة في ثلاثة اجزاء له ايضاً (١ = ٥٥ الراهب المشتاق للقس يوسف الباني الحلبي = ٥٦ كتاب الكمال المسيحي في ثلاثة اجزاء ترجمتهُ (٢ = ٥٧ تفسير الرسائل في اربعة اجزاء ترجمتهُ = ٥٨ تفسير الاناجيل في خمسة مجلدات ترجمتهُ = ٥٩ العنوان العجيب في تفسير رؤيا يوحنا الحبيب ترجمتهُ (٣ = ٦٠ تفسير العهد القديم من الكتاب المقدس في ثمانية مجلدات ترجمتهُ (٤ = ٦١ كتاب صلوات الشحيم لستخراج القس عبد المسيح لبان = ٦٢ كتاب سذرات الشحيم استخراجهُ = ٦٣ كتاب الحسابات التي تتلى في ستار اسابيع الصوم والعجائب والشعانين والحواريين استخراجهُ = ٦٤ تأملات في جهنم تعريب ابرهيم جلوان السرياني = ٦٥ حوادث الاعتراف لخرستافورس اليسوعي تعريبهُ (٥ = ٦٦ ميدان الرهبانية في البيعة الرومانية في جزءين تعريبهُ = ٦٧ ميزان الزمان ترجمة يوسف بن برجس الحلبي = ٦٨ تأملات جهنم المريعة وحماقة الخطأة الفظيعة ترجمتهُ (٦ = ٦٩ القلب المنسحق للاب يوحنا بيناموتي اليسوعي استخرجهُ الخوري عبد الله الشابي (٧ = ٧٠ شرح التعليم المسيحي (٨ = ٧١ محاورات القديس غريغوريوس = ٧٢ كتاب اباطيل العالم في ثلاثة اجزاء (٩ = ٧٣ تصحيح متن الكتاب المقدس عن النسخة اللاتينية = ٧٤ تصحيح عبارة الاناجيل العربية المطبوعة سنة ١٧٠٣ برومية (١٠ = ٧٥ كتاب علم

---

١) طبع المعلم رشيد افندي المذكور الجزءين الاولين بعبارة المؤلف سنة ١٨٩٠ بالمطبعة الكاثوليكية ونسخة مكتبة اللويزة التي استعان بها في حواشيه هي النسخة المصححة

٢) لم يطبع من هذا التعريب سوى الجزء الثالث في سنة ١٨٦٩ بالمطبعة الكاثوليكية

٣) طبع هذا التفسير سنة ١٨٧٠ بالمطبعة العمومية في بيروت

٤) لم ارَ من هذا الشرح الواسع سوى تفسير نبوات الانبياء في ثمانية مجلدات

٥) طُبع هذا الكتاب كما صدر من قلم معربهِ بمطبعة طابيش في عام ١٨٦٦

٦) طُبع بمطبعة الشوير سنة ١٧٦٩ (المشرق ٣ : ٢٦٢)

٧) طُبع سنة ١٨٥٣ بمطبعة نشر الايمان المقدس برومة وطُبع سنة ١٨٦٠ بمطبعة اعدن (راجع المشرق ٦ : ٤٧٤)

٨) كذا روى صاحب جامع الروايات دون ان يذكر المؤلف والمترجم (قلنا لعلَّهُ شرحُ التعليم الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي. راجع المشرق ٣ : ٧١٢ ل. ش)

٩) طُبع هذا الكتاب في رومية ثمَّ في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس (المشرق ٥ : ٧٣)

١٠) ان السيد فرحات قد صحح عبارة الاناجيل العربية المذكورة قبل ان يستخرجها عن

الذمة للمطران يوسف بن شمعون الحصروني = ٧٦ بستان الرهبان (صدَّرهُ بمقدمة في مؤلفيهِ ومكانتهِ من الاعتبار والصدق)

ثالثاً: جدول مترجمات السيد جرمانوس فرحات

٧٧ الكتاب المقدَّس العهد القديم (١ = ٧٨ كتاب الاناجيل (عرَّبها وقسَّمها الى فصول تتلى في أيام السنة وآحادها واعيادها صباحاً ومساء) (٢ = ٧٩ كتاب الرسائل عربها وقسَّمها ايضاً الى فصول (٣ = ٨٠ كتاب القراآت حسب الطقس الماروني في مجلدين (٤ = ٨١ استعداد الكاهن وشكرهُ (صلوات المقدس فرنسيس سالس) = ٨٢ استعداد الكاهن وتأملاته (لم يصرِّح بتأليفها او ترجمتها) = ٨٣ مجموع الحسَّابات ترجمها من الفنقيت والمتعيد والحاش في خمسة مجلدات = ٨٤ مجموع العطورة (الصلوات المنثورة) ترجمها من الفنقيت والمتعيد والدوسي والحاش في خمسة مجلدات = ٨٥ كتاب القداس يحوي نافورة ماري جرس وماري يعقوب وماري يوحنَّا والرسل والنافورة الرومانية استخرج بعض فقرها السريانية (٥ = ٨٦ كتاب القداس المذكور استخرجهُ الى العربيَّة خلا بعض الفقر السريانيَّة (٦ = ٨٧ كتاب خدمة القداس عرَّب بعض فقرها السريانية وزاد عليها خدمة بعض الاعياد وحذف

السريانية وكنيسة حلب المارونية لا تزال تستعمل هذه النسخة المصححة

١) انكر السيد العلَّامة يوسف الدبس هذه الترجمة (انظر مقدمتهُ على تحفة الجيل في تفسير الاناجيل) ولكن صاحب الفهرست وصاحب جامع الروايات يقولان بها صريحاً

٢ طُبعت هذه الترجمة مع كتاب القداس سنة ١٨١٦ و ١٨٣٨ و ١٨٥٥ و ١٨٧٢ بمطبعة طاميش ثم طُبعت على حدة سنة ١٨٦٥ بعناية السيد طوبيا عون مطران بيروت المارونيّ

٣) طُبع اربع مرات بمطبعة طاميش الطبعة الثالثة سنة ١٨٥٤ والرابعة سنة ١٨٦٤ وطُبع مرتين بمطبعة حلب المارونية الاولى سنة ١٨٦٣ والثانية سنة ١٨٧٤ (المشرق ٣: ٢٥٧ و ٢٥٨)

٤) طُبع سنة ١٨٤١ بمطبعة دير قزحيا. وظنَّ السيد العلَّامة يوسف الدبس ان ترجمة القراآت صُنعت في ايام المطران جبرائيل حوشب (انظر مقدمة تحفة الجيل) والصحيح ان فرحات صنعها على ما ورد في الفهرست وجامع الروايات وحسبك انهُ في عهد المطران حوشب لم يكن من يستطيع القيام بهذا المشروع

٥) طبع الاستخراج مع الاصل بمطبعة قزحيا اربع مرات الطبعة الاولى سنة ١٨١٦ والثانية سنة ١٨٣٨ والثالثة سنة ١٨٥٥ والرابعة سنة ١٨٧٢ (المشرق ٣: ٥٥٧)

٦) يروى في صدر الكتاب ما حرفهُ: «رتبة القداس عربيًّا حسبما رتبها السيد الذكر المطران جرمانوس فرحات اسقف حلب» على ان النُّسخ اتزل بها من التصحيف كلَّ داهية

منها ما في بعضها من التطويل = ٨٨ ترتيب خدمة القداس الشريف في ثلاثة اقسام: الاول فيما يخص رتبة قداس الاسقف. الثاني فيما يخص خدمة القداس اليومي. الثالث في المزمورات والكرازات المختصة بايام السنة واحادها واعيادها

رابعاً: جدول مختصرات السيد جرمانوس فرحات

٨٩ مختصر كتاب الكمال المسيحي = ٩٠ مختصر كتاب اباطيل العالم = ٩١ كتاب معاني تواريخ بارونيوس = ٩٢ كتاب المعاني المذكور اوسع مادةً واحسن ترتيباً من سابقهِ = ٩٣ غيث الارب لمحمد السهنودي الموصلي اختصرهُ واطرح منهُ ما يمجهُ الذوق السليم = ٩٤ كتاب الحاش اي صلوات اسبوع الآلام اختصرهُ ونقح بعض عباراتهِ = ٩٥ كتاب الحاش زاد في اختصارهِ ومنهُ نسخة في كنيسة حلب الارونية = ٩٦ ليتورجية رسم الكاس اختصرها وترجم قسمها الى العربيَّة = ٩٧ طريقة تكريس القنديل اختصرها وعرب مقالاتها غير المنظومة = ٩٨ حجريات الوارنة (الرسامات) اختصرها واستخرج قسمها الى العربيَّة = ٩٩ الاسرار (الرتب) اي سرّ المعمودية وسرّ الزيجة الخ (١ = ١٠٠ طرائق التبريكات اي تبريك الشمع وتبريك الماء الخ (٢ = ١٠١ كتاب مزمورات الترتيل التي تُرتل في حين تلبيس الاسقف = ١٠٢ كتاب الزياحات اي زياح القربان وزياح الصليب وزياح صورة الوردية وزياح صورة الثوب (٣ = ١٠٣ الفنقيت الصوري اصلح عبارتهُ وحذف ما في بعضهِ من الزيادات = ١٠٤ كتاب الفتقامات اي قسم المزامير الداودية التي تلحن قبيل تلاوة الانجيل في الصلوات الفرضية جمعها وزاد عليها

هذا ما امكن الاطلاع عليهِ والمعرفة بهِ من تآليف نابغة زمانهِ السيد فرحات ومصححاتهِ ومترجماتهِ ومختصراتهِ ومجموعاتهِ المفيدة من مجلد ورسالة ونبذة وبقي بعض صلوات لم اتحقق امرها. هذا ولا ارتياب في ان لهُ غيرها مما حجبهُ قدم الزمان فاسأل ذوي الاطلاع ان يوافوني بما يعرفونهُ لهُ من الاخبار والآثار * واؤمل ان لا يقابلوا سؤلي

١) لا تخلو من اختلاف عن المطبوعة ليس هنا محل الكلام عليهِ

٢) تختلف في بعض اجزائها عن المطبوع منها ٣) بينها وبين المطبوعة شيء من الاختلاف

* في مكتبتنا الشرقيَّة كثير من تآليف الطيّب الذكر جرمانوس فرحات والبعض منها لم يذكرهُ حضرة الكاتب كتعريب « شرح ارحمني يا الله » لاحد الآباء الدومنيكيين وغير ذلك مما نسردهُ في مقالتنا عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية ان شاء الله ل. ش

بالعدد والإعراض كما فعلوا يوم اعلنتُ الامر قبل ستة اشهر في جريدة المصباح الاغر. لِمَا ان في ذلك خدمة تجلّى في جنب مَن وقف حياتهُ كلها في خدمة الدين والعلم والوطن. واني اهدي سلفًا من اسعفني بالمراد شكرًا جزيلًا ينتشر طيبهُ على آخر الدهر

والى هنا انتهى ما شئت ايداعهُ من محاسن المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات فلا برح موهوبًا رحمةً ورضوانًا ما جزى الله المحسنين احسانًا

مياه لبنان ورسم مجاريها

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقية في المكتب الشرقي (تتمة)

وان سألتَ الآن عن درجة حرارة العيون في لبنان اجبناك انَّ العلماء لم يبحثوا في ذلك الّا قليلًا. وما يقال اجمالًا ان حرارة المياه الجارية فوق علو الف متر هي دون حرارة الهواء المحدق بها (١). والمياه على قدر طول مجراها تزيد درجة حرارتها عند انبجاسها لانها في مسيرها في وسط الاسراب الباطنة الدافئة تأخذ من حرارتها. ولذلك ترى بعض العيون الغزيرة كنبع اطلياس ونبع نهر بيروت قليلة البرودة. فهذه التنابيع وان كانت تتركّب من تحلُّب ثلوج لبنان تنقص برودتها لطول مجريها في بطن الارض تحت سلسلة الجبل الى ان تنفذ الى الهواء فوق سطح البحر بقليل فتنصبُّ فيه. وهذا معدّل درجات الحرارة لبعض عيون لبنان بالنسبة الى المقياس المئوي: نبع جزين ١٣. وكذلك نهر الكلب ١٣. نبع الباروك ١٠. نبع افقا ٨. نبع اللبن ٥ ٤. نبع العسل ٤

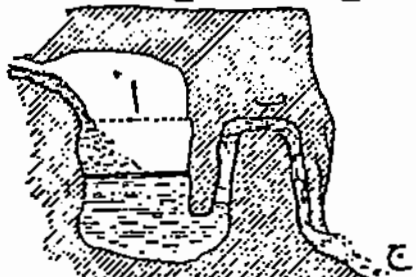

وفي لبنان عيون كثيرة دورية كما مرَّ في وصفنا لافقا وبحيرة اليسُّونة (المشرق ٢: ٧١٧ و١٠٢٦). ومثلها نبع عرمتا في جبل الريحان ينقطع مرارًا في السنة لاسيَّما في الربيع فترى مياههُ تزيد وتنقص كل نصف الساعة وربَّما انقطع تمامًا ثم عاد الى مجريه وسبب انقطاع

١) راجع كتاب رفيق المسافر Kaltbrunner : *Manuel du voyageur*, p. 388

المياه على هذه الصورة : انَّ المياه بعد ذوبها واجتيازها في طبقات الجبل تبلغ الى حوض داخلي ينفذ الى الخارج بمجرى على شكل المص (انظر الصورة ص ٣٦١) فاذا توفرت امتلأ الحوض حتى يساوي سطح مائه الخطّ (١) ثم يزيد ارتفاعه في المجرى المعقّف على حسب قاعدة مساواة المائعات في الاوعية المتصلة الى ان يبلغ اعلى نقطة من المص في (ب) فتجري الى (ج) وهو النبع وتسيل حتى تنقص المياه فيهبط سطحها الى فم المص الداخلي وينقطع الماء بغتة ويدوم انقطاعه طول المدة اللازمة لارتفاع سطح الماء في الحوض الى (١) فتعود الى الجري وعلم جرًا

ومن الينابيع ما يفور عند تفجره كالنوفرة فيبلغ علوًا مختلفًا في الهواء . ونظن انَّ لبنان لا يخلو من مثل هذه العيون وان لم يحضرنا الآن مثل على ذلك . وفي نبع انطلياس تخرج المياه مزبدة بينها شبه فوارات تعلو نحو قدم فوق جملة المياه . وهذا يُرى ايضًا في عيون نهر العاصي في خلف جبل هرمل

امَّا العيون الحارَّة والمعدنيَّة فانَّ العلماء حتى اليوم لم يفردوا للبنان بحثًا فيها . وجملة ما يُقال انَّ تركيبَهُ الجيولوجيّ يدلُّ على انَّها قليلة اللهمَّ الَّا بعض العيون الداخل فيها كيَّات مختلفة من الحديد يمكن تمييزها بتاوين مجاريها لان المياه الحديديَّة تسوّد مسيلها عند سيلانها بدقائق الحديد الداخل في تركيبها . امَّا الينابيع الكلسيَّة فكثيرة يرسب كلسها حولها او في مسيلها فيتحجَّر ولا يزال يزيد حجمًا حتى انهُ في بعض الامكنة يسدُّ المجرى تمامًا

وهو السبب عينهُ الذي كوَّن في بعض الكهوف والمغاور تلك الرسوبات الحجريَّة التي تُرى على شبه العمد . فانَّ المياه بتحلُّبها من سقف المغارة تترك بعض دقائقها الكلسيَّة في الصخر فاذا توالت هذه القطرات زمنًا مديدًا زاد التحجُّر على شبه اساطين (stalactites) . ثم انَّ قطرات المياه بسقوطها على الحضيض تترك قسمًا آخر من كلسها الباقي فيتحجَّر الكلس ويرتفع على شبه الشموع (stalagmites) وربَّما بلغ الاسطوان المتحدّر من علُ الشموع المرتفعة من اسفل فصار كلاهما كعمد متواصلة (١) . وفي مغارة نهر الكلب من هذه المتحجرات كثير تُرى في الغور الذي يدخلهُ عادةً الزوَّار الَّا انَّها ابعى

---

(١) راجع البراي روكلو Elisée Reclus : *les Continents*, p. 341

واجمل في قلب الجبل . وقد اخبر المهندسون الانكليز الذين نفذوا الى باطن مغارة جعيتا في ايلول من سنة ١٨٧٣ ثم سنة ١٨٩٦ انهم عبروا مجازًا جريًا طولهُ عشرون مترًا تقضي عليهم لضيق الممرّ ان ينبطحوا على بطونهم ثم اجتازوا في احواضٍ ومجارٍ متوالية حتى بلغوا شبه غرفةٍ واسعة وجدوا سقفها مزيّنًا بهذه الاساطين المتحجرة البديعة المنظر اما الحضيض فكان مرصعًا باشكال العمد الغريبة الصورة

٣ً (مجاري المياه في الاسراب) تتمّةً لكلامنا السابق في عيون لبنان نذكر هنا شيئًا عن جداول المياه في اسراب لبنان لما بين البحثين من العلاقة اذ انَّ العيون لا تنبجس عادةً الّا بعد قطعها مسافةً ما في بطن الارض

سبق لنا القول عن وفرة مياه عيون لبنان . فان بعضها اذا برزت من مكامنها برت كانهار قادرة على حمل القوارب . ويكون تفجُّرها غالبًا في امكنة قاحلة واودية كثيرة الصخور لا ترى حولها سوى الجنادل العالية والحجارة الصلدة فيؤثر منظر مياهها الرائقة كالزلال في قلب الناظر اذا قابل بين صفائها ووحشة المكان فتراها تنفجر عيونًا كانها اسير حُلَّت قيودهُ فتنشط بحركاتهِ ويرز من محبسهِ الى النور مسرعًا الى الشمس ليتجلبب بضيائها . واذا سارت من منبعها اخصبت ضفَّتيها واحيت ما تمسُّهُ من التربة فينبت النبات ويتوّر الزهر وتمدُّ الاشجار باغصانها النضرة

فهذا رأس النبع الذي تراهُ عيون الناظر الّا انَّ هذه المياه كما لا يخفى ليست بنات هذه الصخور الجامدة فلا بُدَّ اذن من البحث عن اصلها في اغوار الجبل الباطنة حيث تنفذ المياه المتحلّبة من الاعالي فتجتاز في الطبقات الكلسيّة كما بيَّنَّا ثم تتجمَّع في الاحواض جاريةً . ومن الانهار ما يمدُّ مسيلهُ في قلب الجبال مسافاتٍ بعيدة تبلغ نيّفًا و ٢٥ كيلومترًا منها مثلًا نهر سورغ(Sorgues) في فرنسة الذي ينفذ في حوض فوكلوز . وهكذا ايضًا جبل لبنان فانَّ مياههُ تسيل في المجاري الداخليَّة قبل بروزها الى النور كما ترى في نهري افقا والكلب المتفجرّين من كهفهما

وما قلناهُ عن طول مجرى نهر الكلب يجوز تأويلهُ ايضًا عن مغارة افقا التي منها خاصَّة يسيل نهر ابراهيم فانَّ مدخلها في جلف صخور يبلغ ارتفاعها ٦٠٠ او ٧٠٠ متر لها منظر مهيب قلَّ وجود مثلهِ في العالم على قول رينان والدكتور لورته . وللمغارة شُعَب عديدة ودهاليز فرعيَّة يصعب عبورها لاحواضها وكثرة مياههـا . ولا يبعد ان يكون

اتصال بين هذه الغارة وبحيرة اليمونة وليس بمستحيل وجود سرب طبيعي كهذا طوله اثنا عشر كيلومترًا

ويلحق بقولنا عن المياه الجارية في بطن الجبل مظهر آخر وهو غور بعض المياه في لبنان دون ان يبقى لها اثر والمرجح ان هذه المياه تتصل بالبحر فتنفذ فيه جارية بجار باطنة ومنها ما هو على قدر انهار غزيرة. وهذا امر طالما لحظهُ الجيولوجيّون في السواحل البحرية لاسيما التي تتركب من صخور كلسيّة

ومن تتبّع ساحلنا الفينيقي وجد في بعض مواقعه عيونًا تنبع على سواحل سطح البحر. وبقرب بيروت منها عين غزيرة موقعها تحت كنيسة الاميركان لا يكتفي البعض من ان يشربوا من مائها بل يكرّمونها ويوقدون فيها الشمع تدينًا وينسبون اليها القوّات العجيبة وهي تدعى عين المرّيسة. ومنها عيون أخرى فوق الجون الصغير المعروف بالمدوّر حيث تنبع المياه ولا تزال تحفر الركائز التي اقامها المهندسون لسند السكّة الحديدية المتصلة بالرملة

وبعض هذه العيون ترى آثارها في وسط البحر كعين ارواد الشهيرة التي ترى قريبًا من جزيرة ارواد. واهل تلك البلدة اذا صعب عليهم الوصول الى البرّ استقوا منها لشربهم. ولا ريب ان مياهها جارية اليها من جبل النصيريّة. ولو بحثنا لوجدنا غيرها في جوارنا اكثر منها عددًا لانّ مياه لبنان اغزر من مياه جبل النصيريّة. ولدينا مثال قريب منّا عند محطّة العاملتين تزيد العين المدعوّة نبع مار يعقوب تُرى في البحر على بعد ٢٠٠ او ٣٠٠ متر من الساحل. واذا كان البحر هادئًا لاحت فائرة في وسط الغمر وتبقى مياهها مدّةً دون ان تمتزج بمياه البحر. ولو بحث المهندسون على وجهة هذه المياه لامكنهم ان يفتحوا لها منفذًا في البرّ فينشئوا بها الساحل ويسقوا بها المزروعات حيث تقلّ المياه

انّ قولنا السابق عن عيون لبنان ليس بمستوفٍ الّا انّهُ ينبّه القرّاء. ويستدعي نظرهم الى البحث في هذا الامر الخطير فيجدون فيه كفهرس لمباحث عديدة جديرة بهمّتهم. وليست هذه الابحاث نظريّة فقط بل عمليّة ايضًا كما رأيت في قولنا عن الينابيع البحريّة. ولو تفرّغ اصحاب المروّة الى هذا الامر لوجدوا وسائل متعدّدة تمكّنهم من مقاومة عدوّ بلادنا العظيم اعني جدب الارض والقحولة. فانّ حياة سوريّة

متوقفة على كثرة مياهها وحسن تقسيمها. وهذا امر غاية في الخطر لترقي هذه الاقطار في اسباب العمران والاقتصاد والثروة. ولو وجد الاهالون مياهاً غزيرة لزادت همتهم ونالوا من الغلال ضعف ما يحصلون عليه اليوم

لكننا نتأسف على قلة العلماء الذين يتفرغون لدرس المياه اللبنانية. ولا ترى في اوربة بلداً الا وفيه كثير من الجيولوجيين الذين يخصون المياه بنظرهم. وهذا عذرنا لديهم ان وجدوا كلامنا قصيراً في هذه المادة. وانا املنا ان مقالتنا تستلفت انظار بعض الحواص فيعيرون بالاً هذا الامر المفيد بدلاً من سعيهم وراء امور اخرى لا طائل تحتها

منشورية وما فيها

نظر جغرافي وتاريخي للاب جبرائيل لوقاك اليسوعي مدرس التاريخ في كلية القديس يوسف

ان كانت كورية احد مناعر الحرب المتشبة بين روسية واليابان حالاً فانّ منشأ الخصام وجذوة ناره انما هي منشورية. وذلك انه لما دارت الخابرات بين الدولتين لم تأبَ روسية ان تتساهل مع مملكة اليابان في امر كورية لكنها ابت اباء قطعياً ان تجيب على سؤل اليابانيين الذين طلبوا منها ان تتعهد بصيانة مملكة الصين بتمام حدودها ومن ثم ان تعدل عن احتلال منشورية وضمها الى روسية. فكان تأخر الروس عن الجواب مع بغض الحزب الوطني من اليابانيين للعنصر الاجنبي داعياً لنشوب هذه الحرب المشؤومة

فلروسية اذن مطامح في منشورية تفغر نحوها فاها وترمي اليها بطرفها فان ألحقتها بدولتها فتحت بذلك باباً لمطامع سائر الدول الاوربية التي ترغب في اقتسام الصين. ولما رأت اليابان واميركة ان الصين لم تكترث لتعدي روسية حدودها اخذت اليابان على نفسها ان تصون جارتها ليس رغبةً في صالحها بل حرصاً على امورها الخاصة

ولادراك هذه المطامع الدولية لا نرى بُدّاً من وصف منشورية وبيان احوالها اجمالاً فنقول: موقع منشورية في القسم الشمالي الشرقي من الصين تحدُّها في شمالها الغربي

وفي شمالها وشرقها الاملاك الروسية الاسيوية. اما في جنوبها وجنوبها الشرقي فحدودها خليج لياوتنغ والبحر الاصفر مع كورية كما ان منغولية لاصقة بها من جهتها الغربية والصين تحدها في الجنوب الغربي. فترى من ثم ان منشورية بلاد واسعة يزعم الميزابي روكلو نقلاً عن ميدوس (Meadows) ان مساحتها تبلغ ٩٥٠,٠٠٠ كيلومتر مربع فتكون سعتها اربعة اضعاف كورية وفيها من اختلاف المناظر ووفرة المعدنيات ما لا تجده في كورية كالصحاري المنبسطة والمروج الخضراء والحقول والغابات الكثيفة ما يجعلها بين الاقطار الخصبة الصالحة للفلاحة. ولها كذلك جبالها الشاهقة. ففي شمالها يرتفع جبلا خنكان الكبير والصغير يجري بينهما نهر « نوني » الذي يصب في نهر سنغاري وهو الذي تقطعه السكة الحديدية في شرقي الصين. وفي شرقي منشورية وجنوبها « جبل منشورية العظيم » المدعو في لغة المنشوريين « غلمين شانيان الين » وفي الصينية « تشانغ پوشان » اي الجبل الابيض الكبير تعلو بعض قممه الى ٣٠٠٠ متر فتتخلد في مشارفه التاوج الغراء. وهو يمتد الى مسافة ١٥٠٠ كيلومتر من مصب نهري امور وأسوري الى البحر الاصفر. وهذه البلاد هي مهد السلالة المالكة اليوم في الصين المعروفة بسلالة تسنغ

ومما امتازت به منشورية كثرة كلإها ولذلك دُعيت بلاد الاعشاب. وقد نالت هذا بفضل انهارها الفائضة ومياهها الغزيرة. واكبر هذه الانهار نهر سنغاري الذي يجري شمالاً فيصب في نهر امور فيجعله من اعظم انهار العالم ومعنى سنغاري في منشورية « نهر اللبن » لكثرة مياهه وعرضه في كيرين ٣٠٠ متر ثم لا يزال يتسع باضمام غيره من الانهار اليه لاسيما نهر نوني حتى يبلغ من ٢٠٠٠ الى ٢٥٠٠ متر ويصير في وقت فيضانه اشبه بنهر المسيسيبي فيقتلع الصخور ويستأصل الادواح ويجرف التربة وفيضانه مع ذلك نعمة لاهل تلك البلاد كنيل مصر لانه يأتي بتربة لزجة ترسب في اراضي الفلاحة فتخصبها. ثم ينبت الكلأ بسرعة غريبة حتى يبلغ الى ثلاثة امتار طولاً فتأوي اليه الوحوش وتسكنه السباع. اما النهر فتسير فيه السفن ناقلة للسلع بين منشورية وسيبرية. واكثر ما تصدره منشورية الى البلاد الروسية الحبوب باصنافها ثم نوع من الرز يدعونه « خان شين » يستحضر بالذرة الهندية يتقاونه في الشتاء برّاً الى « بلاغو ڤتشنسك » من حدود الروس على مجتمع نهري « امور » و « وزيا » وفي الصيف ينقل الى خبارڤسكا الواقعة عند مصب الاوسوري في نهر امور

ولمنشورية الجنوبيَّة انهار اخرى تخصبها كنهر سنغاري في شمالها. منها نهر يالو الذي يفصل بينها وبين كورية وممتي يالو نهر البط الاخضر دعاهُ الصينيُّون بذلك لشبه مياههِ بلون رأس البطّ. امَّا الكوريون فيدعونهُ « امنو ». ومنها ايضاً نهر « لياوهاي » الذي يسيل من منغولية ويسقيهِ المنغوليون « سيرا مورن » اي النهر الاصفر وهو يجري في واد متَّسع شاع ذكرهُ في التاريخ لأنهُ كان ممرًّا لامم تلك البلاد فمنهُ اجتاز الصينيُّون لمَّا ارادوا فتح الأقطار الشمالية وكذلك فيهِ عبر المنشوريون اذ قصدوا الصين فنزلوا الى البحر وفتحوها بحرًا ووادي هذا النهر هو اليوم من الاودية الكثيرة الخير الواسعة المرافق تزكو فيهِ الحبوب واشتهرت خصوصاً لوبيائهُ التي هي من صادرات منشورية الرائجة. وعلى مصبّ هذا النهر مدينة عامرة تُدعى « اينكيو » زاد خطرها بفتح السكَّة الحديديَّة الروسية

وبين هذين النهرين الكبيرين ترى شبه جزيرة « لياوتنغ » الداخلة في البحر المنتظمة السواحل اللهمَّ الَّا في جنوبها حيث توجد بعض الخلجان العميقة منها على ضفَّتها الشرقيَّة خليج پور ارثور الذي يمتدُّ الى طول كيلومترين في عرض كيلومتر ونصف وهو يتَّصل بالبحر بواسطة قناة طبيعيَّة طولها الف متر وعرضها من ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر ويصون هذا الخليجَ من سهب ريح الشمال والغرب سلسلتان من الروابي المرتفعة لكنَّهُ معرَّض لريحي الجنوب والشرق. وعلى مسافة ٤٨ كيلومترًا في شمالها الشرقي خليج آخر احسن موقعًا من پور ارثور لانهُ في مأمن من الرياح يُدعى خليج « تاليسان وان » طولهُ ١٢ كيلومترًا في عرض عشرة كيلومترات وهو جامع لكل الشروط المطلوبة ليُجعل مرفأً تجاريًّا عظيماً

امَّا هواء منشورية فانهُ جنوبًا معتدل لانَّ مقياس الحرارة في الشتاء لا يتجاوز في پور ارثور الدرجة السادسة او الثامنة تحت الصفر. امَّا منشورية الشماليَّة فبردها شديد وهواؤها قارس يهبط فيها الثرمومتر الى الدرجة ٤٠° تحت الصفر بفيف بل يبلغ في غربي جبل خنكان الكبير الى ٥٠° — وهذا لعمري امر غريب مع انَّ منشورية في عرض اوربَّة الغربيَّة وغاية شمالها في الدرجة ٥٣° ٣٠ على خطّ دوبلين وليڤرپول وهمبورغ امَّا غاية جنوبها فعلى خطّ ليشبونة وجزائر اليونان وازمير والهواء في منشورية كثير التقلُّب لا يصفو فيها اديم السماء قبل أيَّار

ليس سكّان منشورية كلهم منشوريين كما يتوهّم القارئ وانّما اهلها اخلاط من عناصر مختلفة منهم صينيُّون ومنهم كوريون وبينهم قبائل شتّى تُدعى « خون خوز » ترتزق بصيد الاسماك في ضفاف انهار امور وسنغاري واسوري او بقنص الوحوش لبيع فروها ومنها ما يعيش بالتزو وقطع الطرق

امّا المنشوريون فهم عُشر الاهلين لا يتجاوز عددهم الف الف وثلثمائة الف وأملهم اقل من ذلك. ومجمل سكّان منشورية كلها يتراوح بين ١٢,٠٠٠,٠٠٠ او ١٥,٠٠٠,٠٠٠ فيكون معدل السكّان في كل كيلومتر مربع ثلاثة عشر شخصاً

والمنشوريون مع قلّتهم عُرفوا في كل آن ببأسهم وشدّة مراسهم ولمّا كانت غرّة القرن السابع عشر حاولوا مهاجمة بلاد الصين ليستولوا عليها وكانوا اذ ذاك قبائل متفرقة يتولّى تدبيرها امراء مستقلّون فجمع واحد منهم اسمهُ تايتسو كلمتهم وسار معهم لمحاربة ملوك الصين الذين كانوا من سلالة منغ الشهيرة فظفر اوّلاً سنة ١٦١٦ بشبه جزيرة لياوتنغ ودعا نفسهُ بملك الصين وتسمّى « تيان منغ » . ثم خلفهُ « تيان تسونغ » واستولى على خاتم ملوك الصين واتّخذ لسلالته اسم « تاتسنغ » اي العبارة العظيمة ومنها تناسلت الدولة الحالية. ولم يزل المنشوريون يتوغّلون في الصين حتى فتحوا سنة ١٦٤٤ عاصمتها پاكين (١

ومن غريب الامور انّ فتوح المنشوريين للصين كان بدء تقهقرهم فانّهم لمّا عزّوا وبزّوا ونالوا الرتب الرفيعة والمناصب الشريفة غلبهم الصينيُّون بتمدّنهم وسعة عقولهم. وكان اهل الصين لا يجدون قبلاً لنشاطهم فلمّا صارت منشورية والصين مملكة واحدة هاجر الصينيُّون زرافات ووحداناً الى منشورية واستعمروا نواحيها الجنوبيّة واشتغلوا بجراثتها حتى جعلوها شبيهة باخصب الاراضي الصينيّة ولم يزالوا يتناسلون ويكثرون الى ان صاروا في جنوبي منشورية العنصر المتغلب بعاداتهم ولغتهم ولو مرّ عليهم قرن آخر لما كادوا يتركون اثرًا للمنشوريين لولا انّ الروس يتهدّدون اليوم العنصرين معاً

(١ راجع المجلّة الاسيويّة الفرنسية C. Huart : *Mémoire sur les guerres des Chinois contre les Coréens* 1618-1637; JA VII^e Série, t. XIV

والحق يقال انّ روسيّة المتاخمة اليوم لمنشورية على طول ٨١٣٤ كيلومترًا لم تطمح بنظرها الى منشورية منذ امس فقط بل طالما ترصّدت الفرصة لتضيف تخوم جارتها الى املاكها. ففي سنة ١٦٤٣ بعد فتح روسيّة لبلاد سيبرية بنيف ونصف قرن ظهر قوم من غزاة الروس على ضفاف نهر امور حيث شيّد خباروف قائدهم سنة ١٦٥١ قلعة ألبازين لكنّ سطوة المنشوريين كانت اذ ذاك عظيمة فاضطرّ الروس سنة ١٦٨٩ بعد معاهدة ترنشنسك (الواقعة ما وراء بحيرة بيكال) ان يقرّوا بسيادة الصين على كل حوض نهر امور الاوسط والاسفل. لكنّ الروس تعدّوا حدودهم بعد ذلك بل نصبوا في منشورية انصابًا تشير الى تملّكهم اكتشفها سنة ١٨٤٥ رحّالة روسي يُدعى مدّندورف فاستند الروس الى هذه الشهادة ليطالبوا باملاك منشورية الى نهر امور وجعلوا يرسمونها في خارطاتهم بالالوان الروسيّة. وجاء القائد موراڤياف سنة ١٨٤٧ وباشر بتشييد مدينة على ضفّة نهر امور دعاها باسم نيقولا الاوّل «نيقولايڤسك» امّا الصين فاقامت عليه الدعوى واستاءت من صنيعه وتهدّدت بالحرب لكنّها رأت الكوت احمد لمّا رأت موراڤياف سائرًا اليها بخيله ورجله وسفنه المسلّحة بالمدافع. فصار قسم من منشورية في قبضة الروس ألحقه اسكندر الثاني سنة ١٨٥٦ بسيبرية ودعاه سيبرية الشرقيّة وجعل عاصمتها نيقولايڤسك وصادقت الصين بعد ذلك على هذا الفتح سنة ١٨٥٨ في معاهدة ايغون (١ فصارت كل ضفّة نهر امور الشماليّة الى البحر لروسية وبقيت البلاد الواقعة بين نهر اوسوري والبحر حرّة مستقلّة وفيها شُيّدت مدينة خبارُفسكا على ملتقى نهري امور وأوسوري واخيرًا فُتحت للروس تجارة منشورية الصينيّة على الانهار الثلاثة امور واوسوري وسنغاري فجاء هذا الفتح يعزّي روسيّة عن استيلاء الدولة العلية على سيبستوبول بل وجدت في هذه الطريق الاسيويّة الجديدة منفاذًا من الحواجز التي تحصرها في اوربّة اعني الجمد شمالًا وتخوم المانية شرقًا وثغور الدولة العلية جنوبًا

ولمّا كانت روسية قد نالت هذا الفوز العظيم في الشرق الاقصى لم تكد اوربّة تعلم بما جرى بل سارت الى الامام واستولت بعد سنتين برضى الصين على الاملاك الحرّة الواقعة بين نهر اوسوري والبحر على يد الجنرال ايغناتياف فزادت بذلك املاكها ٦٦٠

---

١) وهي مدينة صينية على ضفّة نهر امور على بعد ٣٥ كيلومترًا من بلاغوڤتشنسك

ميلاً على بحر الباسيفيك وحينئذٍ شُيدت مدينة ڤلاديڤستوك ومعناها سيدة الشرق فاقاموها بموازاة مدينة ڤلاديكفكاس اي سيدة القفشاق المبنيَّة في طرف آسية الآخر . وصارت التجارة بين الروس والصينيين خالصة من كل تعرفة على طول تلك الثغور الجديدة وعلى مدى نهر امور

وفي تلك الاثناء جرت حرب فرنسة وانكلترَّة مع الصين فتُحت پاكين سنة ١٨٦٠ فانتهز الروس تلك الفرصة ليطلبوا من « مملكة السماء » ان تخوِّلهم نعماً جديدة ميَّزتهم بها الصين على سائر الدول الاوربيَّة . وكان الروسيُّون يحسنون معاملة اهل الصين ويؤلفون قلوبهم ويساعدونهم ما امكنهم في حاجاتهم فمن ذلك انَّهم عضدوا الصينيين سنة ١٨٦٣ في كبح ثورة اهل تركستان وكشغر وبلاد ايلي وكذلك تداخلت روسيَّة سنة ١٨٩٥ في حرب الصين واليابان فمنعت اليابان من ان تشدِّد وطأتها على الصينيين المغلوبين

وكانت روسية في خلال ذلك تهتمُّ بكتبها السيبريَّة التي باشرت بها في ١٧ اذار ١٨٩١ وقصوى غايتها ان تجمع نشر قواها وتضمُّ اليها اطراف مملكتها الواسعة . وتجز من هذا المشروع العظيم بعد اربع سنوات فتط ١٥٠٠ كيلومتر اعني المسافة الواقعة بين تشليابنسك ونهر اوبي . فلحظ اذ ذاك المهندسون ان رسم الخطّ القديم يقتضي منهم مبالغ طائلة لو ارادوا ان يبلغوا ڤلاديڤستوك على طريق الاملاك الروسيَّة دائرين حول منشورية الصينية وصاعدين الى ما وراء بحيرة بيكال جارين على نهري امور واوسوري . وهي طريق طويلة شاقَّة . فاخذ القيصر واهل الشورى يبحثون عن طريق اخرى اقصر فلم يجدوا الَّا قطع منشورية الصينيَّة

وكانت اذ ذاك الحرب مستعرةً بين الصين واليابان وابدى الصينيُّون عن تقصير وضعف فوجد الروس الفرصة حسنة لتحقيق امانيهم ولذلك توسَّطت بعض الدول بين المحاربين وكانت في مقدَّمتها روسيَّة فمنعت اليابان من ان تتولَّى على شبه جزيرة لياوتنغ في منشورية الجنوبيَّة لئلَّا يُقفل هذا الباب في وجهها فاضطرَّت اليابان ان تكتفي بتعويض نفقات حربها البالغة ٨٠٠ مليون فرنك يزاد عليها ١٢٠ مليوناً آخر بدلاً من شبه جزيرة لياوتنغ .

ولمَّا كانت الصين في ضيق عظيم بعد ما تكلَّفته من النفقات في حربها ولم يسعها

وفاء دينها قامت روسية ثانية لتأخذ بناصرها مع قلة مالياتها لانّ ديونها الخارجية فقط لا تقل عن ستة مليارات من الفرنكات لكنّها رأت في مساعدة الصين صالحها فلم تخف من ان تتكفّل لجارتها عند اصحاب المصارف لتكسب بذلك شكرها. وقام بهذا المسعى العظيم المسيو دي ڤيت وزير المالية فامكن الصين ان تستدين لتدفع غرامة الحرب من مصارف باريس وبرلين ٤٠٠ مليون بفائدة اربعة في المئة بدلًا من الخمسة. وزادت روسية على ذلك انها شكّلت مصرفًا جديدًا تحت تدبيرها برأس مال فرنسويّ فصارت الصين بكل ذلك في قبضة الحسنة اليها

الّا انّ هذه النعم لم تؤدّها روسية مجانًا فانّها نالت سنة ١٨٩٦ بواسطة مصرفها المذكور ان تُعطى امتيازًا في انشاء سكّة حديديّة تقطع منشورية الصينيّة فتصل بين خطّها في ما وراء بيكال وخطّ نهر اوسوري. وهذا الخطّ روسيّ محض سمةُ اسلاكه كسمة الخطوط الروسية وإن تستّر باسم «خطّ الصين الشرقيّ». وبه تحقّقت آمال روسية بان تجعل منشورية في حوزتها. والحقت بخطّها هذا انشاء عدّة مراكز عسكريّة انشأتها لصيانته من هجمات القبائل حتى حُسبت مذ ذاك منشورية الصينية كقُطر من بلاد الروس

الّا انّ قسم الجنوب كان لم يزل خارجًا عن نطاق النفوذ الروسي فلم تعلم روسية كيف تبسط عليه حمايتها. وبينما كانت تفكر في ذلك اذ جاءت الاحوال مساعدةً لرغائبها. فانّ دولة المانية في تشرين الثاني من سنة ١٨٩٧ نالت من الصين شكرًا لخدماتها السابقة ان تستولي على خليج كياوتشيو. فامتعضت انكلترّة من فعلها ايّ امتعاض وخافت ان تتخذ روسية ذلك حجّة فتستولي على شبه جزيرة لياوتنغ فاسرعت وعرضت على الصين قرضًا ماليًّا جديدًا بشروط من جملتها ان تفتح لتجارتها مرفأ «تاليان وان» في شبه جزيرة لياوتنغ وغايتها من ذلك ان تجعل حدًّا لمطامع روسية. لكنّ هذه الاخيرة احتجّت بنيّات بريطانية العظمى والزمت الصين بان تأجرها لخمس وعشرين سنة پورت ارثور وتاليان وان وتمنحها امتيازًا لمواصلة سكّة الحديد الشرقية الصينيّة بهذا المرفإ. فخلا الجوّ بذلك لروسية وفازت بمجلّ مرغوبها ان تُوصل بالبحر في خليج پتشلي خطّها السيبريّ فينفتح لها مجاز حرّ الى كل جهات الشرق الأقصى

ومذ ذاك الحين لم تزل روسية تحصّن مواقعها في تلك الجهات. ولمّا ثارت ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ استغنمت روسية تلك الظروف لتُدخل جنودها في منشورية

لحفظ النظام. فكان دخولهم الشبه بفتح ولم تخف روسية افكارها منذ ذلك الحين. قالت جريدة بطرسبرج الرسمية في عددها الصادر في ٥ نيسان ١٩٠١: «انَّ الدولة الروسية بعدما تكلَّفتهُ لتنظيم احوال منشورية تحافظ على النظام الجديد فيها وتمنع الثورة على حدود روسية الواسعة وتبقى في مركزها هذا راصدةً بهدوٍّ وسلام سير الامور ومجرى الاحوال». فقطعت جهيزة قول كل خطيب وجاهرت روسية بذلك انَّها لا تخرج من حيث دخلت. وهذا ما اثار غضب اليابان. وفتح باب العدوان. وسوف ترينا الأيام كيف يُخمد سعير هذه النيران

*

وقبل الختام نلخص هنا ما صنعتهُ الكنيسة الكاثوليكية لنشر الدين في منشورية. انَّ المظنون انَّ الرهبان الفرنسيين اوَّل من بشَّر بالنصرانية في منشورية في القرن الرابع عشر لمَّا دخلوا بلاد المغول وانشأوا عدَّة كراسيّ اسقفية في الصين دخلت منشورية في جملتها. لكنَّ آثار هذا التبشير الاوَّل قد درست فعاد اليسوعيُّون في القرن السابع عشر ورفعوا لواء الايمان بين المنشوريين لمَّا نالوا حظوة لدى ملوكهم عند ما فتحوا الصين وصبغوا بياض المعموديَّة كثيرين من اعيانهم في بلاط الملك. الَّا ان الاضطهادات وقلَّة عدد المرسلين منعت توسيع نطاق الرسالة الكاثوليكية الى سنة ١٧٧٨ فنال المرسلون من قدماء اليسوعيين ان يقام اسقف على منشورية يكون كرسيُّهُ في مركدن. فسمح البابا بيُّوس السادس بذلك وسعى المرسلون العازاريُّون بنشر الايمان في تلك الانحاء فحال دون مساعيهم عوائق جمَّة الى ان سأم البابا غريغوريوس السادس عشر هذه الرسالة لجمعية الرسالات الاجنبية في باريس وسقَّف على منشورية السيد ڤرّول (M^gr Verrolles) فدبَّر هذا شؤونها الى وفاته سنة ١٨٧٨ بغيرة ملتهبة ونشاط عظيم. فبارك الله اتعابهُ ومساعي المرسلين الذين كانوا تحت عنايته فزاد عدد النصارى زيادةً عجيبة في منشورية الصينية حتى قسمها البابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٩٨ الى قسمين جعل لكل منهما نائبًا رسوليًّا وهما منشورية الجنوبية وعدد النصارى فيها نحو ٢٥,٠٠٠ ومنشورية الشمالية والمؤمنون فيها ١٠,٠٠٠ لكن البوكسر سنة ١٩٠٠ الحقوا بهاتين الرسالتين اضرارًا جسيمة وقتلوا عددًا وافرًا من النصارى والمرسلين فذهبوا ضحية ايمانهم مؤثرين الموت الاحمر على جحود دينهم. هذا ولمَّا القدم الذي لستولت عليه

روسية فأبت حكومتها ان ترخص للمرسلين ان ينشروا فيه الايمان الكاثوليكي بل لم تسمح للاسقف الكاثوليكي ان يزور الكاثوليك الذين تحت رعايته في پور ارثور. وأملنا ان تعامل في المستقبل هذه الرسالات بالمجاملة واللطف. هدى الله القلوب الى سواء السبيل وانار الامم بنور حقيقته امين

ثلاث مقالات فلسفية

لبولس الراهب اسقف صيداء

سمى بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

هذه مرة ثالثة ننشر مقالات لبولس الراهب اسقف صيداء (راجع المشرق ١ : ٨٤٠ و ٤ : ٩٦١). واذ كنا عرّفنا هناك مقام هذا الكاتب وزمانهُ واحوالهُ فنحيل القرّاء الى ما قلناهُ سابقاً. اما هذه المقالات الفلسفية التي ننشرها اليوم فقد وجدناها في مجموع قديم من القرن السادس عشر حملنا عليه آخراً صفحاتهُ ٣٧٨ وفي اوّلهِ تسع مقالات لبولس الراهب فالسادسة والسابعة والثامنة منها (ص ٩٤ – ١٠٧) هي مقالات فلسفيّة ننشرها الآن. وقد وجدناها في مجموع آخر كُتب سنة ١٦٦٦ شبيه بمجموعنا في قسم من مضمونهِ كان في بيت بعض افاضل الروم فحصل عليهِ الخوري قسطنطين باشا واعارنا اياهُ فنشكر لهُ لطفهُ

١

(هذه مقالة لبولس الاب القديس اسقف صيداء الانطاكي يجيب بها على بعض فلاسفة عصرهِ)

اما بعد فاني نظرتُ فيما قالهُ الفيلسوف اطال الله بقاءهُ في الرسالة التي تظلمها «من انهُ ليس يوجد خير بالجملة بلا شرّ ولا شرّ بلا خير لانَّ ما هو للواحد زَعَمَ خير هو للآخر شرّ وما هو للآخر شرّ فهو لمن سواهُ خير. وجعل قياس ذلك الخروف المذبوح وانَّ الذبح شرّ للخروف خير لآكلهِ والانسان المسلوب مالهُ مثل ذلك فالسلب خير للسالب شرّ للمسلوب»

فوجدتُ الامر بخلاف ما ذكرهُ والحال بضدّ ما اوجبهُ وانا اوضح ذلك بتوفيق الله تعالى وابتدئهُ فاقول انَّ العفّة عن الزنا والفسق وما يشكّ احد انّها خير للانسان العفيف. وليس يوجد شرّ مع العفّة لا لفاعلها ولا لغيرهِ. والصوم والصلاة والتعبُّد خير للانسان

الصانع المحسن المتعبد فليس يوجد شرّ لذلك لا لصانعهم (كذا) ولا لغيره والعدل والعفّة والرحمة والعفو عن المجرم خير لفاعلهم وليس مع ذلك شرّ مقترن به لا لفاعلهم ولا لغيره بل خير للمتصرّف في الحكم وللآخذ الصدقة وللمعفوّ عنهُ كذلك الكرم خير للكريم والمتكرَّم عليه وليس معهُ شرّ ومثل ذلك الحلم والامتناع من النميمة والسبّ واجتناب الحسد والحقد خير لفاعلهم غير شرّ لغيرهم بل خير ايضاً. فقد ترى هذه الافعال افعال خير وليس معها شرّ مقترن بها ولا موجود معها لا لفاعلها ولا لغيره حسب ما اوجبهُ. وهذه الأفعال الجميلة التي ذكرتها فهي كلّ الخير المرغوب فيه المنتفع به فاعلهُ في العاجل والآجل المشكور عليه من الله تعالى ومن سائر الناس وهي افعال طبيعيّة مركّبة في الجبلة البشريّة. فامّا اضداد ما ذكرتهُ فهي شرور عاجلة وآجلة وليس معها خير مقرون بها لا لفاعلها ولا لغيره بل رُتّبا لحق بالمفعول به شرّ وليست طبيعيّة مركّبة في الجبلة الانسانية بل دخيلة لانهُ اذا عُدمت الصالحات وُجدت اضدادُها وهي مذمومة بكل لسان عند كل انسان وعند مرتكبها ايضاً اذ ليس يتبعها شيء من الخير بل شرُّها متّصل بالمفعول به. فمن هذا الوجه قد بطل ما اوجبهُ الفيلسوف وذكر انهُ اضطرار لازم وزعم انهُ امرٌ لا بُدَّ منهُ. وانا اورد في الخير والشرّ كلاماً يسيراً متتبعاً ان شاء الله واقول انَّ الخير طبيعيّ والشرّ ليس طبيعي بل هو عدم الخير لانهُ اذا عُدم الخير وجد الشرّ وليس هما شيئين مفترقين ولا مجتمعين معاً. وقياس ذلك الطاعة اذا عُدمت كان العصيان. وكذلك الحياة والموت فاذا عُدمت الحياة كان الموت. وايضاً الضوء والظلمة فاذا عدم الضوء كانت الظلمة. والعفّة والفسق فاذا عُدمت العفّة كان ضدّها. والغنى والفقر وما يجري مجرى هذه الامور. وهذا ما بلغتهُ معرفتي وادركهُ فهمي وقرأتهُ من كلام الفضلاء المتقدمين فان يكن مصيباً فلله الحمد المؤتي من الصخرة ماء ومن العود اليابس ثمرًا لهُ المجد والشكر دائماً امين

٢

ولبولس ايضاً اسقف ميداء جواب للفيلسوف (ص ٦٧–١٠٠)

لمّا بلغني ما حكاهُ الفيلسوف عن السيد المسيح انهُ يُذكَر عنهُ بانهُ احيا الميت وفتح عيني الاكمه وشفى البرص وهذا فيُقال (كذا) انهُ ليس لهُ حقيقة بل لهُ معانٍ وهي انهُ فتح عيني الاعمى القلب واحيا الميت النفس لان مثل هذا قد يقال « ان فلان اعمى القلب »

و « فلان ميت النفس » قائماً على الحقيقة انه احيا ميتاً وفتح عيني اعمى او نقّى ابرص فلا . رأيتُ ان أوضح بعون الله من دلائل العقل لا من الكتاب ما يبطل قول قائل هذا واقول انهُ ما يخفى على احدٍ من الناس اجمعين انَّ دين النصرانية منبثٌ في سائر الامم على اختلاف السنتهم وتشاسع بلدانهم وليس المتحاون لهُ من كل امةٍ واحدًا او اثنين او نفرًا يسيرًا بل هم جمٌ غفير وربَّما كانت الأمة باجمعها مثل النوبة والحبشة والافرنج والروم والانجار (١ والارمن والسريان والروس وغيرهم وهذه الامم الغير قليلة قد كان لهم قبل ظهور النصرانيَّة معبودات واعتقادات وديانات يتمسكون بها فرفضوها واتبعوا انسانًا في ظاهر امره ضعيفًا لا عساكر معهُ ولا جنود ولا اموال لهُ ولا عبيد . ثم بعد ارتفاعهِ عن تلاميذهِ الذين هم الحواريُّون الذين كانوا نفرًا يسيرًا عددهم اثنا عشر نفرًا الذين اتوهم في زيّ الضعفاء المساكين بلا قدرة لهم ولا سلطة عالمية معهم . ثم لم يأتوهم برغبة ولا برهبة ولا بعصبيَّة ولا برخصة ولا بتحسين قول بل الذي قالوه لهم : ان الله ارسل كلمتهُ اي خلقهُ من غير مفارقة لهُ كمثل ضوء الشمس المرسل على الارض من غير مفارقة القرص الوالد لها وكمثل الكلمة التي تخرج من فم الانسان الى من يسمعها من غير مفارقة للعقل الوالد لها . فولد انسانًا من امرأة فاكل وشرب ومات ودفن وقام حيًا فهو باللاهوت ابن الله وبالناسوت ابن مريم لانهُ جوهران(٢ قديم ومحدث واقنوم واحد وليس ابن مباضعة كما نحن من آبائنا بل كالنطق المولود من العقل والضوء المولود من عين الشمس وما يجري هذا المجرى مما هم والدون ومولودون لا من جماع ولا من نطفة ولا الوالد قبل الابن ولا الابن بعد الآب فتركوا معبودات آبائهم ورفضوا ما كان في ايديهم وتبعوهم . ولم يتبعهم فلّاحون وأميُّون ومساكين فقط بل ملوك وحكماء وجبابرة وعلماء وفلاسفة ومنطقيون فلولا الآيات الباهرات والمعجزات العظيمات التي شهدوها من رُسلهم السيّد المسيح التي لا تكون على يدي دُعاة الى مُحال لَما كانوا تبعوهم . وهذا يغني عن الشهادات من الكتب اذ هو اوضح دليل يغني عن كل شرح طويل . فاما من يدفع آيات السيّد المسيح ومعجزات حواريهِ قائلًا قصدهُ بذلك تعطيل كتب

١) كذا في الاصل . وفي نسخة حضرة الاب قسطنطين بائسا « الانجاز » ونظن انَّ المراد الانكليز وكان يقال لهم الانكتار . ولعل الكلمة تصحيف « الانجار »

٢) المراد بالجوهر هنا الطبيعة كما ترى

الله المنزلة منهُ على السن انبيائهِ ودفع الرسل الذين بهم وقع الصلاح من الخواص والعوام وبالله يليق المجد والاكرام من الآن والى الابد امين

٣

ولهُ ايضاً جواب لاحد الفلاسفة من الصابئة (ص ١٠٠ — ١٠٧)

لمَّا تأملتُ ما يراهُ الفيلسوف اطال الله بقاءهُ ان الله تعالى خلق اقواماً باعيانهم للجنَّة وخلق اقواماً باعيانهم للنار وانَّ من هو مخلوق للنَّار لو عمل طول أيام حياتهِ اعمالاً صالحة اسبَّب الله لهُ قبل موتهِ ولو بلحظة عملاً رديئاً يؤدّيهِ للنار وكذلك الذي هو مخلوق للجنَّة لو كمَّل كل زمانهِ افعالاً قبيحة ليسَّر الله لهُ قبل موتهِ ولو ببعض ساعة عملاً صالحاً يدخلهُ الى الجنَّة لاجلهِ. واحتجَّ ان الانسان مربوب والمربوب فلا حكم لهُ في ذاتهِ. فوجدتُ هذا رأياً قبيحاً يبوّر مُعتقدهُ في عطب ليس قليل لان الذي يرى هذا الرأي يوجب اولاً ان ليس ثمَّ عذاب لانَّ كل من خُلق لشيء مُنعَّم فيهِ اذ لهُ خُلق. كحيوان الماء خُلق للماء. وحيوان التراب خُلق للتراب فلو أُخرج احدهما الى ما لا يُخلق لهُ أتلف. ثم انهُ يجعل الله ظالماً اذ يقول انهُ يخلق خاطئاً للنار ثم يأمرهُ ان يخطئ وهو لا يستطيع الى ما أُمر بهِ سبيلاً ثم يعذّبهُ على خطاياهِ بالنار. واقبح الاشياء ان صاحب هذا الرأي يوجب ان لا حاجة الى صوم ولا الى صلاة ولا الى اجتهاد في عبادة ولا الى رحمة وعدل وانصاف ولا الى تطاطئ وخفض جناح ولا الى عفَّة من المحارم التي نُهي الانسان عنها ولا الى الافعال الجميلة التي أُمر بها اذ هذه الامور لا تنفع الانسان ولا تحيدهُ عمَّا خُلق لهُ لانَّ الذي خُلق للنار لا حاجة بهِ الى الافعال الجميلة. كذلك الذي خُلق للجنَّة لا يضرُّهُ شيء من الاعمال الذميمة. غير اني وان كنت من العلم مقتراً والمعرفة معسراً وبالآثام والذنوب موسراً رأيت لاجل مشاركتي للفيلسوف حرسهُ الله في الجنس واتفاقي معهُ في النوع ومؤالفتي لهُ في الفضل ومساهمتي اياهُ في الحسنة وقبولي مثلهُ العرَض ولان المي والمهُ واحد ثم ان الطينة التي جُبلنا منها كلُّها واحدة والامّ لكلَيْنا واحدة والاب لكلَيْنا واحد اعني آدم وحوّاء. وبعد الاخوة نحن بنو عمّ لاننا ننتسب الى ابراهيم وانا ايضاً غريبان وقد قيل:

اجارتنا انَّ غريبان هاهنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

وقد جمعتنا بلدة واحدة وكلانا نتكلّم بلسان واحد ومن جهة التمثال نحن ايضاً واحد حسبما قيل :

الناس من جهة التمثال آلافٌ ابوهم آدمٌ والامّ حوّاء

فان يكن لهم في ما مضى نسب يتفاخرون به فهو الطين والماء وليس مخالفتنا في المذهب تبعدنا من هذه المجانسات والمناسبات ولذلك اشير عليه ان يرجع الى الصواب ويهمل الهوى الذي قد اهلك كثيرًا من الناس الذين غلب تقواهم . وليعلم ان قولهُ بان الرب متحكم في الربوب ما يجب ان يُحمل على الربوب في سائر الوجوه بل على بعضها لانَّ ذلك ما يُحمل على الحيوان الغير ناطق في سائر الاحوال بل على بعضها فضلًا عن الناطق . لأنّا قد رأينا الحيوان الغير ناطق المربوب مجبّرًا في امور ومخيّرًا في غيرها . فامّا الاحوال التي هو مجبر عليها فمثل قلّة العلوفة وكثرتها والكدّ في العمل والترفه والاهتمام به والاهمال لهُ وما يجري هذا المجرى . واما ما هو مخيّر فيه فالحمار والجمل وما يجري مجراهما ان اراد ان يمشي ويجري بحمله وان اراد ان يقف . وكذلك الثور ان اراد ان يحرث وان نشاء ان ينام . فاذا كان الحيوان الغير ناطق مجبرًا مخيّرًا الذي ليس لهُ امرٌ ولا نهي من ربّه اعني قانيهُ ولا وعيد بنعيم ولا وعيد بتخلّد جهنم أفيكون الحيوان الناطق الذي قد وُعد بالنعيم عن الجميل وأُوعد عن القبيح بالجحيم وأُمر ونهي مجبرًا لا مُخيّرًا ؟ كلّا

بل يجب ان تعلم أيها الحكيم أيدك الله بان الانسان اجلّ ما خلقهُ الله لانَّ الجميع من المخلوقات لهُ خُلقت اذ البارئ تعالى غنيٌّ عن جميعها وليس به حاجة الى شيء منها واذا كان الانسان حافظًا لاوامر خالقهِ سالكًا في وصاياهُ كان افضل من الملائكة لانَّ تلك ارواح لا اجسام لها امّا الانسان فشاكل الحيوان الغير ناطق بالجسم ومشابه الملائكة الروحانيين الناطقين بالنفس الناطقة الحيّة العاقلة . ولذلك اذا علا الانسان على الاعراض كان افضل من الملائكة . فمَنْ هذه صورتهُ وقد خلقهُ الله جودًا وإنعامًا أيكون مجبرًا في جميع الامور لا مخيّرًا في بعضها مما يؤديه الى النعيم او يخلده الى الجحيم ؟ كلاّ . ولو انَّ الامر كما يزعم الفيلسوف واعوذ بالله لكان اخسّ الحيوان وادناهُ افضل من الانسان لانَّ ذلك خُلق دنيئًا حقيرًا ثم انهُ يَفنى فتنقضي ذاتهُ وحقارتهُ التي ليس هي مثل صورة السبع على غيرهِ من الوحوش وصورة الفيل على غيرهِ من البهائم ويكون الانسان يُخلق خاطئًا ثم يموت ويعذّب على خطاياه التي خُلق عليها

الى ابد الابد ؛ معاذ الله من هذا الرأي القبيح . فاما الذي ليس له اختيار ولا استطاعة مثل الارض والمنازل والنباتات والكسيح والجلا وما يجري هذا المجرى مما ليس هو حيا ولا حيا ناطقاً أفيحسن بالانسان ان يجعل ما هو لغير حي ولا ناطق للحي الناطق الذي قد رتبه الله بالعقل وجعله سيداً وربا لجميع ما خلقه وخصه بالفطنة والتمييز لدقائق الامور واعطاه ما يصل به الى معرفة باريه . وان كان ليس على حقيقة ذلك بل حسب ما تبلغه استطاعته اذ هو مخلوق ثم يشكره على انعامه ويعرف جلالته وقوته وقدرته ويعلم انه خلقه تفضلا منه وانعاما وامره ونهاه لمصلحته وما يعود لمنفعته وجعله مسلطا على ما أمر به فيما نهاه عنه وان العقوبة عليه اذا عصاه لما خوله من الاستطاعة وان الثواب يضاعف له على الطاعة ويتحقق انه جعله مجبرا على امور لا يقدر هو على دفعها عن نفسه ولا ورودها عليه مثل الصحة والسقم والحياة والموت والغنى والفقر وبقية الاحوال التي لا يقدر يتقلب في واحد منها باختياره وذلك ليلتجئ الى خالقه فيما يدهمه مما يكرهه ويشكره على ما يسره ويعلم ان له ربا محبا للخير آمرا به مبغضا للشر ناهيا عنه وان ما نهى عنه لما يؤثره وما أمر به لما يكرهه . فاذا اتاه شيء مما يسوءه بغير اختياره يصبر عليه ويهرب منه اليه ويعلم ان له في ذلك فائدة ومنفعة مذخرة له وان كانت عنه خفية الآن . أفمن هذه الصورة صورته يكون مجبرا لا مخيرا ؛ كلا

ولما قلت ان الله اذا علم شيئا لا يكون الا ما يعلمه قلت ان الله تعالى لا يعلم لا شيء بل يعلم الاشياء وانه خلق الانسان واعطاه استطاعة على فعل الخير وان اراد الشر وامره بالخير ونهاه عن الشر . فاذا علم منه انه يفعل الخطأ وليس العلم سابقا الانسان الى الفعل بل الفعل صار سببا للعلم . ولذلك اخفى الباري تعالى العلم عن الانسان . فلو قال الانسان : « اذا أخطئ يا رب انت علمت مني اني لا بد لي من ان أخطئ وما كان لي عن ذلك مندوحة » . فيقول له : « ياشقي من اين علمت اني علمت انك تخطئ ولم لم تعلم اني علمت انك تصيب وعلمي مستور عنك وعلمك وخطأك سبقا في علمي بان علمت ما انت فاعل ليس انك فعلت ما علمت اني عالمه » فتكون الحجة لازمته والعقوبة واجبة عليه بل الذي يجب ان يقال ان الله تعالى خلق الانسان خيرا جيدا لانه تعالى بدء الخير ومعطي الخير ومعاذ الله ان يخلق شريرا او شيئا

مما يلائم الشرّ . ثمّ امره بفعل الخير الذي خلقهُ عليهِ ونهاهُ عن القبيح الذي لم يُخلَق لهُ واعطاهُ الاستطاعة بفعل ما اراد من الجهتين فاراد هو لسوء فعلهِ وجهلهِ بالله وجزاءته على القبيح ان يفعل الشرّ فليس علم البارئ تعالى اوجب لهُ فعل ما فعل ولو كان فعلَ الجميل لكان سابق العلم ايضاً قد علم بذلك منهُ ولو ان سابقَ العلم سابقٌ الى احدى الجهتين لكان يسوق الى الخير الذي يحبُّهُ ويؤثرهُ لا الى الشرّ الذي يبغضهُ ويكرههُ وما كان يستوجب الجاني عتاباً ولا المصيب ثواباً بل الفعل الذي أوجب للفاعل الثواب او العقاب على ما فعل لا على ما علم الله منهُ . وقنا الله لطاعتهِ وجنّبنا معصيتهُ واعاذنا من عذابهِ وجاد علينا برحمتهِ وخلّدنا جنّتهُ فانّ بهِ يليق المجد والاكرام والشكر والاعظام من الآن والى الابد امين

اكتشاف اشعّة جديدة

بحث للاب بطرس دي فراجيل اليسوعيّ مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبيّ (تتمّة)

قلنا في مقالة سابقة انهُ فضلاً عن الاشعّة المنظورة يوجد عددٌ لا يُحصى من اشعّة اخرى شديدة الفعل طبيعياً وكيميائياً منها الاشعّة المعروفة قبلاً وهي التي دون الاحمر وما وراء البنفسجيّ . ولمّا بيّن ه . هرتس باختباراتهِ وجود الارتجاجات الكهربائية الجارية على سياق قرارات متوالية ما لبث هتُورف (Hittorf) ان يكتشف سنة ١٨٨٦ الاشعّة الكاثودية . ثم جاء بعدهُ رنتجن فاثبت ان هذه الاشعّة الكاثوديّة في بعض الاحوال تنتج اشعّةً جديدة دعوها باسمهِ اشعّة رنتجن او الاشعّة المجهولة (rayons X) . ثم واصل العلماء ابحاثهم فاستدلّوا على انّ الاشعّة الكاثوديّة قسمان قسمٌ منها يجذبهُ المغناطيس وقسم آخر لا فعل للمغناطيس فيهِ وتحقّقوا انهم اذا فتحوا منافذ في كاثود زجاجة أفرغ هواؤها انبعثت اشعّة اخرى دعاها الطبيعي غلدشتين (Goldstein) الاشعّة الاسطوانيّة (Kanalstrahlen) وتقرّر آخراً لديهم انّ لاشعّة رنتجن ملحقات وهي جملة اشعّة ثانويّة مختلفة لكلّ منها خواصّها

وكل هذه المظاهر كانت معروفةً شائعة لمّا قام العلامة الفرنسوي ه . بكرل (Becquerel) واخبر في ٢٤ شباط من سنة ١٨٩٦ انهُ لحظ اشعّة مناسبة لاشعّة

ونتجن في احد املاح عنصر الاورانيوم (المشرق ٥ : ١٢٣) دعاها باسم اشعّة بكرل

وفي سنة ١٨٩٨ اشار الاستاذ ل . شميت في المانيا انّ عنصراً آخر يدخل في تركيب غلاف مصباح أوّر اعني التوريوم لهُ نفس الخواصّ المكتشفة في ملح الاورانيوم ومذ ذاك الحين اخذ العلماء يدعون هذه العناصر الاجسام المشعّة ذات القوّة الفاعلة (radio-actifs)

وبعد ذلك بمدّة قليلة توفّقت السيّدة سكاودُفسكا البولونيّة المقترنة باحد اساتذة الطبيعيات في باريس المسيو بول كوري الى اكتشاف اعظم . فبينما كانت تفحص البخلّند (pechblende) وهو المعدن الذي يُستخلص منهُ الاورانيوم وجدت فيهِ بعض قطع ذات قوة غريبة تفوق اشعّتها على اشعّة الاورانيوم والتوريوم . فجعلت تحلّل هذه القطع تحليلاً كيميائياً دقيقاً متتابعاً فوجدت عنصراً مشعّاً شديد القوّة دعتهُ باسم وطنها « بولونيوم » وكان في الوقت عينهِ قد استخلص المسيو ديبارن (Debierne (من هذه الموادّ معدناً آخر مشعّاً باشعّة فعّالة سمّاها اكتينيوم اي الشعاع

فبلغ بذلك عدد هذه العناصر خمسة اعني التوريوم والاورانيوم والبولونيوم والاكتينيوم والراديوم (١ . لكنّ الاجسام الاربعة الاولى حتى اليوم لم تثبت خواصّها تماماً . اما الراديوم فعلى خلاف ذلك قد احكم العلماء درسهُ حتى انهُ يُعدُّ اليوم من جملة العناصر المستقلّة ذات الخواصّ الكيميائيّة المقرّرة وإياهُ اتّخذ العلماء لابحاثهم في هذه السنين الاخيرة . ولذلك قبل ان ننتقل الى وصف الاشعّة الجديدة التي اكتشفها بلوندلر نباشر بوصف الراديوم وخواصّهِ تمهيداً فنكمّل ما اثبتهُ المشرق قبل سنتين عن هذا العنصر

١ الراديوم

١ ﴿ حقيقة الراديوم ﴾ بين كل الاجسام ذات الاشعّة الفاعلة لم يفرز العلماء حتى الآن غير الراديوم فان المسيو كوري (Curie) وقرينتهُ أفرداهُ في حالة املاح خالصة ولم يمكنهما إفرازهُ في حالتهِ المعدنيّة . اما المعدن الذي منهُ استخلصا الراديوم

---

١) وقد افادت الاخبار العلمية الاخيرة انّ المسيو غيزل (Giesel) افرز من البخلند عنصراً سادساً من هذا الجنس دعاهُ سيريوم (cérium)

فيو اوكسيد الاورانيوم غير الخالص المعروف ببيخبلند مدينة « يواكيمستال » في بوهيمية . وممّا يدخل في هذا الاوكسيد من الاجسام الغريبة عدّة اوكسيدات واملاح من عنصر الباريوم ومنها يُستخرج الراديوم

فترى ما ينبغي للكيمويين من التحليلات الجمّة قبل ان يستخلصوا كمّيّة زهيدة من الراديوم . ودونك مثالًا عن مشقّة عمل الكيمويين وعنايتهم في استحضاره فانّ المسيو كوري وقرينتهُ حلّلا ١٠٠٠ كيلو من البيخبلند ليستخرجا دسغرامين فقط من كارورر الراديوم . ولذلك تبلغ قيمة قليل من هذا العنصر اسعارًا فاحشة . فانّ غرامًا واحدًا من كلورور الراديوم يساوي ٣٠٠ فرنك وغرامًا من برومور الراديوم غير الخالص يساوي ١٠,٠٠٠ فرنك امّا الخالص منهُ فيبلغ ثمنهُ ٥٠,٠٠٠ ف ولا يمكن بيع هذين العنصرين الاخيرين بسرعة فمن اراد شيئًا منهما فلا بُدَّ لهُ ان ينتظر زمنًا طويلًا قبل ان يُستحضر لهُ . وقد حسب بعض العلماء ثمن غرام واحد من الراديوم اذا كان مفرزًا من املاحهِ فارتأى انهُ يساوي ١٥٠,٠٠٠ ف

والراديوم من حيث خواصهِ معدن من جنس الكلسيوم والسترنتيوم والباريوم . وثقل احدى دقائقهِ ٢٢٥ . ومن فحصهُ في الطيف الشمسيّ وجد لهُ خطّين بديعين خاصّين دون غيرهِ طول تموجات احدهما ٤٦٨,٣ والآخر ٣٨١,٤ الف الف المِلمتر (اعني ٤٦٨ و ٣٨١ قسمًا من المكرون)

٢ ﴿ إشعاع الراديوم ﴾ يؤخذ من الاختبارات التوالية التي اجراها العلماء في املاح الراديوم انّ لهذه الاملاح فضلًا عن النور والحرارة كما سيأتي ثلاثة ضروب مختلفة من الاشعّة كان العلماء يدعونها كلها سابقًا بالاجمال لشعّة بكرل . وامّا اليوم فلم يروا بدًّا من التمييز بينها فعرّفوا كل صنف منها باحد الحروف اليونانية الاولى الثلاثة α, β, γ فيقولون لشعّة α او لشعّة β او γ وتمييزها مبنيّ على قوّة المغناطيس فيها فان كان المغناطيس قويًا وجدت لشعّة α تتأثر منهُ تأثرًا خفيفًا . وتأثيرهُ في اشعّة β شديد اذ يحيدها عن مجراها . امّا اشعّة γ فلا تأثير للمغناطيس فيها . وكذلك يمكن افراز هذه الاشعّة بقوّة نفوذها في الاجسام الكثيفة فانّ لشعّة α تنفذ فيها نفوذًا خفيفًا ولاشعّة β قوّة نافذة متوسّطة . امّا لشعّة γ فانّ قوّتها النافذة تفوق قوّة لشعّة ونتجن عنها . لكنّ لهذه الاشعّة خواصّ مشتركة تعمّها جميعًا منها : ١ انّها تجعل الموانع الغازيّة ناقلةً

للكهرباء. ومن ثم قادرة على تفريغ الاجسام المكهربة على مثال الاشعة الكاثودية والاشعة رنتجن. ٢ انها تؤثر في الصفائح الفوتغرافيَّة وتنفذ في بعض الاجسام الكثيفة ٣ انها تثير الاشعة الفسفورية في بعض المواد. ٤ انها لا تنعكس كالنور الطبيعي. اما الخواص التي لكل واحد منها فهي كما ترى

ا (اشعة ع) لا تتركب هذه الاشعة من اهتزازات الاثير ولكن بما دعوناهُ ايونًا (راجع مقالتنا السابقة ص ٢٥) والايون مراكز مادية مشبعة بالكهربائيَّة ترسل كهربائيتها بسرعة على حدّ سرعة النور والمرجح انَّ هذه الاشعة هي شبيهة بالاشعة الاسطوانيَّة اعني باشعة غلدشتين السابق ذكرها لكنَّ سرعتها اعظم

ب (اشعة ثم) كذلك هذه الاشعة لا تتركب من توجات الاثير بل من الالكترون (راجع ص ٢٥) المكهربة بكهربائيَّة سلبيَّة وهي تلقي كهربائيتها بنحو سرعة النور فتكون بذلك مناسبة للاشعة الكاثودية لكنَّها اشدّ نفوذًا منها

ج (اشعة ب) اكتشفها المسيو ڤيلار (Villard) وهي تتركب كاشعة رنتجن من اهتزازات الاثير. وهذه الاهتزازات تحصل كما يظن الطبيعيون لدى اصطدام الالكترون بدقائق ماديَّة جامدة فتجري بذلك عدَّة امواج متناسقة في الفضاء. ولهذه الاشعة قوَّة نافذة عجيبة فانها تنفذ في صفيحة من رصاص سمكها خمسة او ستَّة سنتيمترات بينما لا تقوى اشعة رنتجن خرق صفيحة ذات ملليمترين فقط

٣ هنَّ مناعيل اشعة الراديوم منها طبيعية ومنها كيميَّة ومنها فيسيولوجيَّة ومنها مورثة للحرارة

ا (المفاعيل الطبيعيَّة) اخص هذه المفاعيل انَّ الراديوم يولي الغازات قوَّة شبيهة بقوَّة الايون فتصير الموانع الغازيَّة جديرة بنقل الكهرباء. بل تبلغ قوَّة اشعة الراديوم الى ان تجدي السوائل والجوامد نفسها قوَّة لنقل الكهرباء. كزيت القازلين وروح البترول والپارافين التي كان العلماء يعدّها سابقًا كموادّ عازلة للكهرباء.

٢ (المفاعيل الكيميَّة) كل اصناف اشعة الراديوم تؤثر في الصفائح الفوتغرافية وصنفان منها ينفذان في الاجسام الكثيفة. ومن اراد ان يحصل بهما على صورة جسم صلب كما في اشعة رنتجن فعليه بان يجعل قطعةً من ملح الراديوم فوق الجسم المذكور الموضوع على صفيحة — وان جعلت اشعة ب على مسافة مترين من الصفيحة نالت

صورة الجسم الصلب مرسومة رسماً جلياً. وهذا لعمري مما يسهل رسم الصور على اقرب طريقة

ومن خواصّ هذه الاشعة ايضاً ان تجعل الاملاح القاوية والماس والقطن والورق والزجاج وغير ذلك مشفّة بالنور الفسفوري. واعلم ان كل املاح الراديوم منيرة بذاتها تتال هذه الخاصة بقوّة اشعتها الصادرة منها. ونورها كافٍ لمطالعة جريدة في الظلمة بل يُرى هذا النور في النهار

والاجسام المنوّرة بنور الفسفور تتغيّر هيئتها اذا اصابتها اشعة الراديوم فانها تتلوّن بالوان غامقة ثم يخفّ نورها الفسفوري دون ان يُعرَف سبب الامر. هذا واذا قرّبت حبّة من ملح الراديوم من حاجز يتركّب من سولفور التوتيا ظهرت على التوتيا عدّة شرر من النور تشعّ على الحاجز وتنطفئ كأنهُ وجه بحر متنوّر متلاطم بالامواج والشرر المذكور انما يحصل من وقوع اشعة α على الحاجز

٣ً (المفاعيل الفيسيولوجيّة) للراديوم مفاعيل فيسيولوجية مختلفة: (اوّلاً) في اصناف الميكروب. فتوقف نشوء بعضها وتقتل بعضها فاذا وقع شعاع الراديوم مثلاً على ميكروب الهواء الاصفر قتلهُ في ١٦ ساعة وقتل ميكروب الجمرة بزمن اطول قليلاً. وبعض الاختمارات كالامولسين والتريسين تفقد قوّتها. وكذلك سمّ الافعى تخفّ وطأتهُ

(ثانياً) في النبات. ورق النبات يصفر سريعاً اذا وقع عليهِ شعاع الراديوم. اما حبوبهُ فتفقد قوّتها المولّدة

(ثالثاً) في الحيوان. الراديوم يقتل الهوامّ او يبطل انتشارها. واذا اصاب في الحيوانات الكبرى مراكزها العصبيّة اجمدها. واذا وقع على جلدها احرقهُ حرقاً بليغاً يتعب شفاؤهُ وربّما استحالت هذه الجروح فصارت قروحاً لا دواء لها. وقد اخذ الاطبّاء يستعملون الراديوم لمعالجة الآكلة وداء السرطان وغير ذلك فانشأوا لذلك فرعاً جديداً للتطبيب دعوهُ «المعالجة بالراديوم» كما وضعوا فنّاً للمعالجة بالشمة وتتجن

٤ً (المفاعيل المولّدة للحرارة) وهي مفاعيل عظيمة الشان. فانّ غراماً واحداً من الراديوم يُنشئ حرارةً تساوي في الساعة مئة من مقاييس الحرارة (calories) وهذا المقياس هو الكميّة اللازمة من الحرارة ليغلو بها غرامٌ من الماء او يرتفع مئة غرام منهُ درجةً من الحرارة. ومن غريب امر الراديوم انّ كمية حرارته لا تختلف باختلاف حرارة

الوسط الذي هو فيه فانهُ يبعث حرارةً واحدة في الدرجة ٢٥٣ تحت الصفر وفي الهواء العادي والظنون ان قوتهُ هذه ترتقي الى زمن تركيب المعدن الذي يُستخرَج منهُ الراديوم اعني الى اعصار عديدة. وقد قاس العلماء كمية الحرارة التي تنشأ من الراديوم في السنة فوجدوها تساوي ٨٠٠,٠٠٠ مقياس من الحرارة فاذا ضربت هذا المحصول بمئات من الاجيال بلغت كمية هذه الحرارة ما لا يمكن للحساب ضبطهُ. فاستنتج بعض الفلكيين انهُ لو وُجد في الشمس في مسافة كل الف كيلوغرام غرامٌ واحد من الراديوم لكفى ذلك لبيان قوة اشعة هذا الكوكب المنير

ولكن ساء ظنّ البعض اذ حسبوا انَّ للراديوم قوة كافية لتحريك الادوات فانَّ الاختبارات الاخيرة بيّنت انَّ غراماً من الراديوم لا يأتي في الساعة الّا بقوة ٣٤ كيلوغرامتر اما فرس واحد بخاري فيبلغ في الثانية ٧٥ كيلوغرامتر وفي الساعة ٢٧٠,٠٠٠ وشتّان بين المفعولين

٤ ﴿ توليد قوة ثانوية ﴾ اذا جعلتَ جسماً في جوار ملح من الراديوم نال مدة زمن ما قوة شبيهة بالاجسام المشعة الفعالة فتنبعث منهُ انوار ذات مفاعيل كمفاعيل ملح الراديوم. وهذا المفعول ربما بقي مدة في قوتهِ ولو ابعدت عن هذا الجسم الراديوم المولد لها. وقد دعا العلماء هذه الخاصية « قوة الراديوم الباعثة » ولم يتحقق الطبيعيون حتى الآن اتوجد هذه القوة في الاجسام المشعة سواهُ

ب اشعة بلوندلو (Blondlot) او اشعة ن

أ (حقيقتها) سبق ان الاشعة الكاثودية تنشئ في زجاجة كروكس (Crookes) اشعة نُسبت الى رنتجن مكتشفها وقد علمت انَّ لهذه الاشعة الاخيرة عدة إشعاعات ثانوية وكان من جملة الذين درسوا اشعة رنتجن الاستاذ بلوندلو من كلية نانسي في فرنسة ومما سبق اليهِ وصفاءُ ذهنهُ انهُ بيّن انَّ اشعة رنتجن تنتشر بسرعة النور. فلما كان شهر آذار من السنة المتضرمة اكتشف انَّ هذه الاشعة تستقطب ايضاً كالنور. ثم اجاز بعض اشعة رنتجن في ورقة من الالومينيوم او ورقة سوداء فوجد انَّ صنفاً خصوصياً من الاشعة ينفذ في الورقتين وانَّ هذه الاشعة يمكنها ان تنعكس وتستقطب

فدعا هذه الاشعة اشعة ن (rayons N) وهو اول حرف من اسم مدينة نانسي وجعل يدرسها درساً مدققاً فوجد ان هذه الاشعة ليس فقط تنشأ في زجاجة كروكس

تكن تُرى ايضاً في غلاف مصباح أوّر وفي صحائف الحديد وقليل الفضة الخالية . وبعد هذا الاكتشاف بستة اشهر تحقّق المسيو بارندلو انّ بعض العناصر تذخر كمية من هذه الاشعة . وفي كانون الاوّل أثبت استاذ آخر من كلية نانسي المسيو شارپنتيه (Charpentier) بان اجهزة الحيوان لاسيّما الاعصاب والعضلات في حركاتها تنشئ اشعة من هذا الصنف

ومما تقرّر ان مولد هذه الاشعة ن انما هي تموّجات الاثير ويمكن استطابها وتسليط امواج بعضها على البعض او جمعها بعدسية . وطول هذه الامواج يتراوح بين ٨٥ عشر من الالف من الميكرون وبين ١٧ الفاً منه . ويوجد ما بين هذين الطرفين عدد وافر من التموّجات المختلفة الطول يمكن نشرها بواسطة الوشور . اما عدد اهتزازات دقائق الاثير لهذه الاشعة هو في الثانية اعظم جداً من الاشعة التي يتركب منها الطيف الظاهر . ومن ثم لا يمكن للعين ان تنظر هذه الاشعة في ذاتها بل في مفعولاتها فقط

٢ ﴿ مصادر هذه الاشعة ﴾ منها اصلية ومنها فرعية . فالمصادر (الاصلية) التي منها تنتج اشعة بارندلو هي اوّلا الشمس ثم كل ينابيع النور والحرارة كغلاف مصباح اوّر ومصباح نرنست (Nernst) الكهربائي الخ . وكذلك صفائح الالومينيوم والفضة الحرة والواح الخشب اذا عُرضت من احد جانبيها لاشعة الشمس الخ وكذلك الاجسام اذا ضُغطت ضغطاً يؤثر في دقائقها او طويت او لويت كقطع الخشب والزجاج والكاوتشوك والمعدن فانها تشعّ باشعة ن . واغرب من ذلك ان الفولاذ المسقى هو من المصادر الغزيرة لاشعة بارندلو لا يكاد ينفد إشعاعهُ وفي المتاحف شفرات ومدًى اكل عليها الدهر وشرب وهي مع ذلك لا تزال حتى اليوم تشعُّ باشعة ن

اما الحيوان الناطق والاعجم فانّ هذه الاشعة الغريبة تصدر من اعصابها وعضلاتها في كل حركاتها . وكل جهاز عصبي على قدر ازدياده في العمل تزيد ايضاً قوّتهُ المشعّة . وقد امكن المسيو شرپنتيه ان يحدّد بذلك في الجسم البشري كل مسافة القلب الذي هو عضلة عاملة ابداً وحدّد ايضاً كل المراكز العصبية المتجمعة في قشرة الدماغ والمتبطّنة فيه مع بيان عملها الخاص فمن ذلك انهُ عرّف موقع الاعصاب التي تتحرّك بحركة اللسان في الكلام

لكنّ هذه الاشعة ليست كلها من صنف واحد . فلبعضها خواصّ ليست لسواها . وفي اعداد المجلات الواردة الينا مؤخرًا يخبر المسيو بارندلو انهُ افرز قسمين من هذه

الاشعة ن دعا الاوّل ن (N) والثاني ن١ (N ١) . وروى انّ اشعة ن١ تصدر خصوصاً من الاسلاك المعدنية المرفّعة ومن خواصها انها تخفّف حاسية اجهزة العين والشمّ العصبية بخلاف اشعة ن التي تزيد في احساسها

اما المصادر (الفرعية) فهي الاجسام التي ليست مشعة بذاتها لكنّها تقبل هذه الاشعة فتخزنها مدّةً ثم تعيدها عند الحاجة . مثالهُ حجرة او قرميدة تُعرضان بعض ساعات للشمس فتشعّان بعد ذلك باشعة مستعارة منها . وكذلك يشعّ الكوارتس والزجاج وسولفور الكلسيوم . اما الخشب والورق والالومينيوم والپارافين فلا

٣ ﴿ رصد هذه الاشعة ﴾ لمّا كانت هذه الاشعة غير منظورة ينبغي لرصد مفاعيلها اتخاذ احدى هذه الطرائق الثلاث

(الطريقة الاولى) بزيادة النور . وذلك بان تأخذ صفيحةً او سلكاً فتحميها الى درجة الحمرة القاتمة او تعمد الى لهيب غاز او الى شرر النار ثم ترسل على هذه الاجسام الملتهبة اشعة ن فللحال تجد نورها قد زاد زيادةً واضحة

(الطريقة الثانية) بزيادة الاشعة الفسفورية . فانك اذا اخذت جسماً ذا خاصية فسفورية كقطعة من پلاتينو سيانور الباريوم وارسلت عليهِ اشعة ن توفّرت فسفوريتهُ

(الطريقة الثالثة) بزيادة قوة العين الباصرة . على هذا المنوال تدخل غرفة قليلة النور وتقف بازاء مينا ساعة على مسافة بحيث ترى المينا على شبه نكتة رمداء فاذا ارسلت على العين اشعة ن كاشعة قرميدة عُرضت للشمس رأيت للحال ابرتي الساعة وتخاطيط المينا واذا ترعتَ القرميدة توارت ايضاً هذه المناظر . وكذلك يجوز بدلاً من القرميدة ان يؤخذ قضيب ويُلوّى لمام العين

والمسيو شرپنتيه قد رصد الاشعة التي تصدر من اجهزة المواليد الثلاثة بواسطة حاجز صغير من سولفور الكلسيوم رصدهُ بعينات زرقاء . وكان يضع هذا الحاجز على الراس والجبين ويطّلع على كل حركة من حركات المرء في ساعة فكره وحسابه وعزمه فاذا فكّر المرء او حسب او انشأ ايّ فعل كان من العقل او الارادة زادت قوّة النور في الحاجز . وهذا لعمري امرٌ غريب انّ فعلاً غير مادّي يثير في المادّة مظهراً ماديًّا

٤ ﴿ خواصها ﴾ انّ قوّة اشعة ن تنفذ ما وراء الالومينيوم والزجاج الخ ولكن يحجزها الرصاص والورق المبلول . واذا كان الماء مالحاً خوّقتهُ . واذا اصابت نور الجاحب

(سراج الليل) واستنباتات الميكروب ذا الاشعة الفسفورية زادت نورها سطوعاً

وقد ثبت ايضاً بالاختبار انَّ هذه الاشعة يمكن نقلها بالسلاك فتعمل عملها على بعد عشرة امتار بتلف . ويشترط ان تكون الاسلاك من مادة تنفذ فيها هذه الاشعة

ولا غرو ان يجد العلماء قريباً غير هذه الخواص فتتقدَّم العلوم الطبيعية بها وتنال منها فوائد لم تَدُرْ على خلد احد قبل سنتين لاسيَّما لتعريف تموُّجات الاثير التي دخل درسها منذ زمن قليل في طور جديد

نرى انَّ هذه الاكتشافات الجديدة نهاية في الخطر واليوم لا يتكلَّم ارباب الطبيعة الَّا عن الاثير والايون والالكترون وعن تركيب المادَّة وفي مقالة تابعة نلخص اراءهم في هذا الشان ونجعلها كتتمة لمقالتنا هذه ليكون قرَّاؤنا على بصيرة من ترقي المعارف المتواصل في هذه المباحث الخطيرة

مطبوعات شرقية جديدة

Cyrus : Entstehung u. Blüte d. altorientalischen Kulturwelt.
par E. Lindl, *Munich, Kirchheim*, 1903, gr. in-8, pp. 121
avec tableaux chronologiques, cartes et 98 illustr.

قورش واوج التمدُّن الشرقي القديم

هذا التأليف من جملة مجموع تاريخي سعى بنشره العلماء الكاثوليك في المانية يدعونهُ « Weltgeschichte in Karakterbildern » . ففي الكتاب المعنون آنفاً قد اختصر الاستاذ ليندل من كليَّة مونيخ اخبار الشرق وتاريخهُ القديم الى عهد قورش ملك بابل الذي خصَّ مُلكهُ بدوس محكم اذ بلغت في ايامهِ الحضارة الشرقية قصوى عظمتها . فيستغني القرَّاء بهذا الكتاب عن مراجعة المطوَّلات في هذا الصدد . وممَّا يزيدهُ خطراً كثرة تصاويرهِ البديعة اذ لم يدَّخر المؤلف شيئاً ممَّا تروق معرفتهُ حتى صورة نَصَب حمورابي الشهير المكتشف حديثاً . وخلاصة القول انَّ هذا الكتاب مع تأليف الدكتور بتسولد (Bezold) في « نينوى وبابل » الذي سنذكرهُ قريباً وتأليف « رعمسيس وبسمتيك » لشتيندرف (Steindorff) يحتوي زُبدة التاريخ القديم ومكتشفاتهِ

الحديثة يستحق ان يُنقل الى العربية ليستقي اهل بلادنا من مناهله الصافية

LETTERATURA ASSYRA
par B. Teloni. (*Manuali Hoepli*). 1903. pp. XV+266 et 3 planches
آداب اللغة الاشورية

جناب المعلم ب. تيلوني من جملة العلماء القليلين الذين يتفرّغون في ايطالية لدرس آداب اللغة الاشورية وهو احد اساتذتها الاحرار في مكتب فيرنسة الاعلى. وكان سابقاً نشر منتخبات اشورية اثنى عليها العلماء. وهذا التأليف اثر جديد ينطق عن نشاطه وهمته ضمنهُ ليس فقط نظراً في آداب اللغة الاشورية بل في تاريخهم ايضاً وتفاصيل دينهم مستنداً الى اصدق الموارد. وكتابهُ يمتاز بوضوحه وحسن تقسيمه وطلاوة عبارته والمؤلف مع ذلك لا يثق كلَّ الثقة في اكتشافات الاشوريين لا لأنهُ يزدري بها بل فطنةً منهُ لئلا يسوّر بقرّائه في الضلال لاسيما ان امورًا كثيرة ليست الى اليوم مقرّرة ثابتة. وعلى كل فنشكر للدكتور تيلوني عملهُ ونتمنّى لتأليفه رواجاً الاب س. رزقال

L'Astronomia nell' Antico Testamento
par G. Schiaparelli (*Manuali Hoepli*) 1903. pp. 196 *accrfiq.*
علم النجوم في العهد القديم

لم يسبق احد الاستاذ ج. شيابارلي الى تأليف كهذا. ومن ثم تراهُ خدم العلم خدمة جليلة بوضعه. والحقُّ يُقال انهُ كان جديرًا بتصنيفه وهو احد اثنة اساتذة رومية فضلاً عن اتقانه للغة العبرانية. وقد جمع في هذا الكتاب الصغير الحجم كل ما تتضمّنهُ الاسفار المقدّسة من الاشارات الواضحة او البعيدة الى علم الفلك وعلم الهيئة وتقويم العبرانيين في سنتهم وشهورهم وايامهم. وكذلك تراهُ قد بيّن فضل اصحاب الكتب المنزلة في وصفهم الطبيعة ومحاسنها الفريدة واضاف الى اقوالهِ تصاوير تقرّب الى الفهم ادراك اقوالهِ. ونحنُ مع تهنئتنا للمؤلف الفاضل لا نكتمهُ اننا كنّا وددنا لو تجنّب بعض المزاعم التي اشاعها قوم من المعادين للدين وان لم يبالغ مثلهم في اطرائها

PUBLICATIONS DE M. EDWARD G. BROWNE M. A., M. B
تأليف الاستاذ ادورد ج. برَون

الاستاذ الفاضل ادورد ج. برَون احد مدرّسي اللغات الشرقية في كليّة كمبردج. وهو مولع بآداب الفرس ولغتهم وهذا مجمل ما اهدانا من تآليفه نقسمها الى اربعة اقسام:

(القسم الاوّل) يحتوي المقالات التي نشرها في مجلة الجمعيّة الملكية الاسيوية من سنة ١٨٩٩ الى ١٩٠٢ : ١ً الترجمة الانكليزيّة لكتاب فارسيّ بليغ العبارة يدعى « چهار مقاله » الّفهُ « نظاميّ عروضيّ سمرقنديّ » في القرن الثاني عشر للمسيح مداره على اربعة ضروب من العُمّال يحتاج اليهم الملوك اعني الكتبة والشعراء والمنجمين والاطبّاء. — ٢ً تعريف كتاب « نهاية الإرَب في اخبار الفرس والعرب » كان البعض يظنّونهُ من التآليف المهمّة التي يُرجع اليها في بيان احوال الفرس فبيّن المستر بروُن انّ هذا الكتاب ليس تحتهُ كبير امر وانّما هو منقول في الغالب عن كتب معروفة. — ٣ً ترجمة انكليزيّة للفصل الخامس (ع ٦) من « تاريخ گزيده » لحمد الله مستوفي من كتبة القرن الثامن للهجرة. وهو كتاب مفيد يشتمل على تراجم شعراء الفرس ونُبَذ حسنة من شعرهم. — ٤ً وصف خلاصة تاريخ جليل يُدعى « تاريخ اصفهان » لحسين ابن محمّد الماوي استند فيهِ المؤلف على تاريخ عربي قديم كُتب سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) يدعى رسالة محاسن اصفهان للمفضل بن سعد بن الحسين. وهو مصنّف خطير يعرّف احوال مدينة اصفهان وما طرأ عليها من الأحداث — ٥ً وصف كتاب فارسيّ مخطوط من خزانة المستشرق المرحوم شيفر (Schefer) يدعى « اعلام الملوك المسمّى براحة الصدور وآية السرور لنجم الدين بكر الراوندي » كُتب سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢—١٢٠٣ م) وهو يتضمّن تاريخ الدولة السلجوقيّة من اوّل نشأتها الى أيام المؤلف

(والقسم الثاني) يحتوي قائمة بمجموعين من الكتب الفارسية والعربية المخطوطة مصونين في مكتب الوزارة الهنديّة في لندن (India Office) وهو تأليف نفيس فيهِ وصف مدقّق لـ ٢٨٠ كتاباً مخطوطاً في ١٨٩ صفحة وقد ساعد المؤلف في عملهِ احد مشاهير المستشرقين دنسون روس (N. E. Denison Ross). طُبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٩٠٢

(والقسم الثالث) هو عبارة عن كتابين ضخمين Persian historical texts (*Brill, Leide*) يحتوي الواحد « كتاب تذكرة الشعراء » للامير دولتشاه السمرقندي طبع سنة ١٩٠١ صفحاتهُ ٦٣٧. والآخر يحتوي النصف الثاني من كتاب لباب الالباب لمحمّد عوفي في ٤٧٢ صفحة مع مقدّمة وحواشي (ص ٧٨). والكتابان كلاهما في

تراجم الشعراء وهما غاية في الافادة لكنّ العلماء يعرفونهما فلا حاجة الى الاطالة في وصفهما

(والقسم الرابع) يتضمّن اخيرًا تاريخ آداب الفرس A. Literary History of Persia (من اوّل عهد الفرس الى زمن فردوسي الشهير طبع سنة ١٩٠٢ في ٥٢١ صفحة ومقدّمة ذات ١٩ ص عند الطبّاع اونوين (Unwin) وفي اوّله صورة ملوّنة لخسرو ابرويز الملك الفارسي كما قيل . وهذا الكتاب من احسن ما وُضع في تعريف الآداب الفارسية لا يستغني عنهُ الدارسون . وقد جمع فيهِ المستر برون بجمل احوال الفرس وتواريخهم وآدابهم وذلك بعبارة رائقة وطريقة سهلة . ونخصّ كل من يعرف الانكليزيّة على مطالعتهِ بل نتمنّى ان يُترجم للعربية والفارسية لتعمّ فائدتهُ بلادنا . جازى الله صاحبهُ كل خير

ل . ش

شذرات

اكتشاف عاديّات جديدة في الشرق انّ الاكتشافات في الشرق تتوالى بسرعة غريبة حتى انّنا لو حاولنا وصفها لما كفتنا اعداد من المجلّة . فمن ذلك انّ حضرة الاب شيل الدومينيكيّ اكتشف رسالتين جديدتين في الاشوريّة من رسائل تلّ العمارنة الراقية الى القرن الخامس عشر قبل المسيح والرسالتان من ملك « اشورو بلّيت » ملك اشور الى فرعون مصر — ومنها ايضًا اكتشاف العلامة كلرمون غانو لصكّين عربيّين كُتبا سنة ١٢٥٥ و ١٢٨٠ وهما يحتويان على اقطاعات منحها صاحب صيدا (Julien de Sagette) وبيروت (Onfroy de Monfort) لبني بحتر الذين نشرنا تاريخهم في المشرق مع تاريخ بيروت لصالح بن يحيى — وكذلك نشرت البعثة الالمانية المرسلة الى العراق وصف حفرياتها في بابل واحيائها الثلاثة اعني : القصر وكانت مدينة ملوك بابل . وعمران وكانت المدينة المقدّسة . وجمجمة وكانت المدينة التجاريّة . ومما اكتشفوهُ الطريق الملكيّة المقدّسة التي ورد ذكرها في الكتابات الاشوريّة وكانت غاية في العظمة تزينها على جانبيها تماثيل الاسد ووجدوا على بلاطها كتابات تدلُّ عليها . وكذلك اكتشفوا عدّة هياكل فخيمة واروقة وابوابًا اثريّة وتصاوير ملوّنة

عجيبة واقساماً من بلاط الملك نبوكدنصّر وغير ذلك مما جاء مؤيداً لآيات الاسفار المقدّسة

سكة غريبة الشكل ذكرنا في العدد السابق (ص ٣٤٤) السكة الغريبة التي اصطادها بعض الصيادين في جونية (لا في جُبيل كما سبق سهواً) وعرّفنا اسمها العلميّ وبعض خواصها. والآن قد ارسل حضرة الشيخ مدير جونية يوسف بك حبيش صورتين من هذه السكة فاثبتنا احديهما رغبةً في الافادة شاكرين لفضل المرسل

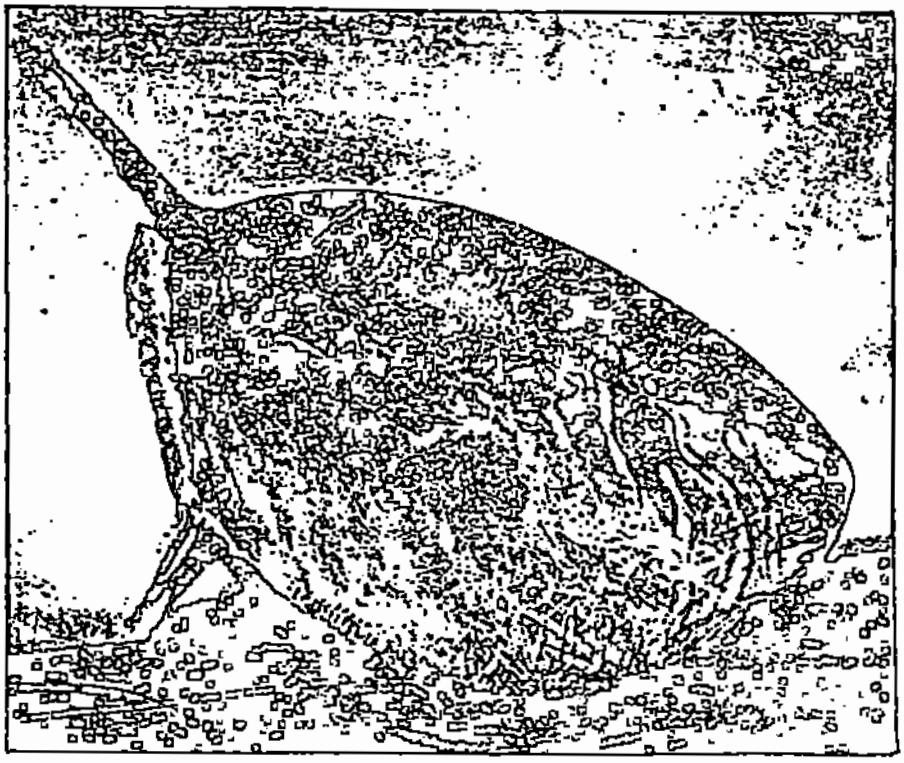

تصاوير قصر المشتّى ذكرنا غير مرّة هذا القصر العربي القديم وتصاويره العجيبة المنسوبة للفسّانيين (المشرق ١: ٤٨١ و ٦٣٠ ثم ٤: ٧٦٦ ثم ٥: ٦٦٩) وقد قرأنا في المجلات العلميّة آخراً انّ قسماً من هذه التصاوير نقلهُ العلامة شوماخر والاستاذ الفاضل اوتنغ الى برلين لدرس خواصّه

أسئلة وأجوبة

س سأل حضرة الاب انستاس الكرملي: ١ هل اتمّ تأليفاً في شعراء النصرانية. ٢ هل للغة الحميرية حركات اعرابية وجموع مكسّرة. ٣ وكذا لغة حضرموت. ٤ هل طُبعت كلّيات ابي البقاء في اوربة:

ج نجيب على (الاول) أننا لم نتمّم بعد كتابنا في شعراء النصرانية بل نُبقينا ان نعيد النظر في ما طُبع منهُ لتوسيع موادهِ قبل تتميمهِ. وعلى (الثاني والثالث) ان العلماء استدلّوا بالكتابات المكتشفة حديثاً انَّ للغتين الحميرية والحضرموتية جموعاً مكسّرة اما الحركات الاعرابية فتقوم مقامها حروفُ العلّة الثلاثة فيقولون مثلاً «بلدو معني» اي «بلد مَعْن». وعلى (الرابع) ان كلّيات ابي البقاء لم تطبع الّا في مصر

س وسأل حضرة انستاس جبران ضوء تلميذ مدرسة ايونان في رومية: ماذا يُعرف عن تاريخ القديس انيقطوس. وهل يكرمهُ اهل حمص في زماننا؟

تاريخ القديس انيقطوس

ج اقدم واوسع المصادر لتاريخ القديس انيقطوس انّما هو الكتاب الحبري (راجع مانسي ٢: ٦٨١) وهذا تعريب قولهِ بالحرف: «انيقطس سوريّ الجنس وابوهُ يوحنّا وهو من بلدة حمص (وردت هذه الكلمة في النسخ المعروفة على اربع صور Humisia, Humisa, Amisa, Emisa وكلُّها تثبت كونهُ من حمص لا من بلد آخر كما ظنّ بعضهم اذ ليس بلد آخر بسوريّة بهذا الاسم. امّا زعم الزاعم بانَّ المراد مدينة اماسيا في البنطس او مدينة اميسوس في البحر الاسود فليس لهُ نصيب من الحقيقة وانّما هو محض مجانسة بين الاسمين) جلس (على كرسي رومية) احدى عشرة سنة واربعة اشهر وثلاثة ايّام على عهد قاروس ومرقس (اوراليوس) ومن قنصلية غليكانوس وقاتوس الى قنصليّة پرازنس وروفينوس. امر بألّا يرتّبي الا كليريكيُّون شعرهم (ثم يذكر عدد الذين سامهم من الاساقفة والكهنة والشمامسة) ومات شهيداً ودُفن في مدفن كلستوس» هذا كلُّ ما يُعرف عن القديس انيقطوس. إمّا زمانهُ فآراء المؤرخين الأقدمين كاوسابيوس وايرونيموس وايريناوس وغيرهم تختلف فيهِ وقد زعم البعض انهُ كان قبل القديس پيوس الاوّل ومنهم من يجعلهُ من سنة ١٥١ الى ١٥٨. وغيرهم وهو رأي كتاب نظام الكنيسة (Gerarchia cattolica) يجعلون بدء رئاستهِ من سنة ١٥٧ الى ١٧٥. امّا ذكر هذا القديس في حمص فقد ذُكر كما ذُكر ذكر غيرهِ بتادي الأيام ل.ش